

الدكتور احمد الشرباصي

بين محمد عبده وسعيد الشرتوني

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

***

ما زالت لدي مجموعة كبيرة من الرسائل الفكرية والتاريخية التي دارت بين اعلام الفكر والادب في العصر الحديث ولم تنشر . ومن بين هذه المجموعة جملة رسائل وجهها اللغوي الضليع سعيد الخوري الشرتوني صاحب معجم : « اقرب الموارد » والى الاستاذ الامام محمد عبده الذي ملأ دنياه ، وشغل الناس في عصره .

والشرتوني علم من اعلام اللغة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهو كاتب منشيء ، لغوي بحاثة ، تفقه في العربية وتمكن منها ، وكانت كتابته سهلة المأخذ ، واضحة المنهج ، رقيقة الالفاظ .

وهو : سعيد بن عبد الله بن ميخائيل بن الياس بن الخوري شاهين الرامي ، وشهرته سعيد الخوري الشرتوني ، واذا رجعنا الى « الاعلام » للزركلي و « مصادر الدراسة الادبية » لداغر ، وغيرهما ، استطعنا ان نعرف ان الشرتوني ولد في بلدة « شرتون » بلبنان سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م . وتعلم في مدرسة « عبية » الامريكية لمدة سنتين ، ثم انتقل الى مدرسة « سوق الغرب » . وتولى تدريس علوم العربية في مدرسة اليسوعيين ببيروت ، وقام بتصحيح مطبوعاتهم نحو ربع قرن .

كما قام بالتدريس في مدارس كثيرة في لبنان وسورية ، ومنها : مدرسة عين تراز ، ومدرسة راهبات الناصرة ، ومدرسة البطريركية ، ومدرسة الحكمة .

وقد توفي الشرتوني سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م في احدى ضواحي بيروت « قرية الشياح » حيث اقام فيها ايامه الاخيرة حزينا على وفاة اخيه رشيد ، وابنتيه الاديبتين : عفيفة وانيسة .

وللشرتوني مجموعة من الكتب والآثار ، هي :

١ - اقرب الموارد الى فصيح العربية الشوارد ، وهو معجمه المشهور طبع سنة ١٩٠٢ في ثلاثة مجلدات .

٢ - شرح كتاب بحث الطالب : في النحو والصرف.

٣ - الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب ، طبع سنة ١٨٨٤ .

٤ - السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب ، طبع سنة ١٨٧٤ ، وهو نقد لكتاب « غنية الطالب ومنية الراغب » لاحمد فارس الشدياق .

٥ - الغصن الرطيب في فن الخطيب ، طبع سنة ١٨٧٨ .

٦ - حدائق المنثور والمنظوم ، طبع سنة ١٩٠٢ .

٧ - نجدة اليراع ، طبع سنة ١٩٠٥ .

٨ - السفر العجب الى بلاد الذهب ، طبع سنة ١٩٠٠ .

٩ - المعين في صناعة الانشاء ، طبع سنة ١٨٩٩ .

١٠ - مطالع الاضواء في مناهج الكتب والشعراء ، طبع سنة ١٩٠٨ .

١١ - المحاماة عن الموارنة وقديسيهم ، طبع سنة ١٨٩٩ .

وكان يقول الشعر احيانا ، ومن شعره هذا البيت :

قد كتب الحسن على وجهها يا اعين الناس قفي وانظري

ولقد اعجب الشرتوني بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قبل ان يلتقيا ، وزاد اعجاب الشرتوني بالامام بعد اللقاء ، حتى روى امير البيان شكيب ارسلان ان الشرتوني كان يقول عن الشيخ بعد ان رآه وسمعه : « هذا الرجل اذا تكلم يخرج النور من فمه » . كما روى الامير ان الشرتوني اشتد اعجابه بمبادىء الاسلام وتعمق في طواياه بسبب استماعه الى الشيخ محمد عبده (١) .

والرسالة الاولى من الشرتوني الى الامام - مما هو مخطوط محفوظ عندي - كانت بتاريخ (٤ محرم سنة ١٢٩٤ هـ) . ونفهم منها ان الرجلين لم يلتقيا بعد ، بدليل ان الشرتوني يقول في آخر هذه الرسالة : « ما رأيت الشيخ محمد عبده ولا الشيخ عبد الكريم سلمان » .

وهو يتحدث الى الامام فيها عن اعجابه بالامام ، وذكره كثيرا مع غيره في مجالس امير البيان شكيب

ارسلان في لبنان ، ويشير الى رسائله التي يبعث بها الى الامام ، والى تقدم الشرتوني في اللغة الفرنسية والترجمة عنها ، ويطلب من الامام ان يكتب اليـه باللغة الفرنسية — وكان الامام قد تعلمها — ويتمنى الشرتوني ان يزور الامام لبنان في ذلك الصيف ، ويرجو الشرتوني الامام ان يبلغ السلام الى المؤرخ امين فكـري ، وسعد زغلول ، وشقيقه احمد فتحي زغلول ، والشيخ عبـد الكريـم سلمان .

وهذا هو نص الرسالة المخطوطة والمحفوظة لدي :

« ايها الشيخ الفاضل

انك لا تبرح متمثلا تجاه ناظري ، وكثيرا مـا يدور ذكرك الطيب على لساني ، ولا سيمـا في الاجتماعات الارسلانية ، غير ان ذلك قد اوقع علي اهمالا لما يقتضيه الواجب من ارسال الرسائل اليك . وهـذه الليلة كنت اتمشى في فناء بيتي ، فنهض ضميري يوبخني على هـذا التقصير في حق الشيخ ، والاقتصار على الاستعلام مـن الامير شكيب عن احواله وصحته ، فاخذت القلم وكتبت هذه الرسالة ، راجيا من حلم سيدي قبول العفو (٢) عن ذنبي ، ومنبئا اياه اني لم ازل في عالم الاحياء ، وان كثرة الترجمة من اللغة الفرنسوية قـد اضطرتني او اضطرت الالفاظ ان تثبت في حافظتي ، فصرت على رغم ما بي من التواني مقتدرا على فهم الكتب .

حتى اني ترجمت ثلاث مباحثات في علم الخطابـة لفنلون مطران كمبـري الفرنسوي صاحب تليمـاك ، وسأطبعها ملحقة بكتاب في قواعد صناعة الوعظ للمطران جرمانوس فرحات ، وهي في نفسها كتاب صغير . وكفى بهذا دليلا على اني قد تقدمت شيئا .

واعترف لك ان الداعي الى ذكر هـذا الخبـر الشخصي انما هو ان احملك علـى زيادة الابتهاج بمـا وصلت اليه من البراعة في اللغة الفرنسوية تكلمـا وكتابة وترجمة ، اذا قابلت كثير ما حصلته بقليل ما استفدته ، وسبحان من آتاك الفضل والمزية في كل حال .

ان نفسي مطمئنة هذه السنة الى تشريفك فـي الصيف ، فهل في النية تحقيق الامل ، والانعاش بلقـاء من آثره الله على كثير من كبار الناس ببسطـة في علمه ، ونقاء في سريرته ، ووفاء في مودتـه ، ام يتشبث حضرة الاستاذ بالوقوف تجاه جيش الوباء الذي لا فائدة مـن فعاليته ، ولا مردة من مصابرته .

واني في مثـل هـذه الاحـوال استحسن منهـج الروس الذي نهجوه في قهـر نابليون الاول حين غـزا بلادهم . اني انتظر الجواب باللسان الفرنساوي لعلـي افيق من نومة كسلى ، واشتغل بالكتابة على أمل ان اصل الى كتابة مكتوب ساذج في ذلك اللسان ، فيكـون حضرة الاستاذ قد اهدى الي شيئا من المعرفة .

ارجو من سيدي ان يكرم في جوابه بالاطمئنان عـن صحة سعادتلو امين باشا فكري ، وسعـد افنـدي ، وشقيقه فتحي افندي ، والشيخ عبد الكريم (ما رأيت الشيخ محمد عبده ولا الشيخ عبد الكريم سلمان) .

الحمد لله كثرت العبارات ، لكـن غير منسقة ولا متناظمة . كنت اريد الاسهاب لكـن ضاق المجال مـن حسن حظ الشيخ .

بيروت في ٤ محرم سنة ١٢٩٤ « سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الثانية فتاريخها هكذا : « آب ٩١ » ، ولكن الكتابة غير واضحة ، وجاء في اعلى الرسالة حاشية تقول: « التقيت امس اتفاقا بصديقنا الوفي عبد القادر افندي القباني ، وبلغني سلامك وسؤالك عني ، بعد ان كان قد بلغني ذلك في بيته ، وقلت له : غـدا ان شاء الله اكتب الى الشيخ ، فقال : سلم عليه » .

وقد تحدثت هذه الرسالة عـن الشوق والتحية والتقدير ، وعن عزم الشرتوني على طبـع كتاب يسمى « نوادر ابي زيد » ، وانه ارسل الـى الامـام اوراقا للاشتراك في هذا الكتاب ، ليوزعها الامام علـى اصدقائه لمعاونة الشرتوني في نشره ، واملـه في ان يتبرع احـد المصريين بنفقة طبعه ، وانه سيطبع الجزء الثالث مـن معجمه « اقرب الموارد » ، وعن ارساله بعض كتبه الـى مختار باشا الغازي ، وبعض كتب اليسوعيين الى الحضرة الشاهانية والصدر الاعظم رجاء المعاونة ... الخ وهـذا نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

بعد السلام الصادر عـن شوق مخلص الوداد ، اعرض اني من عهد قريب بعثت اليك بكتاب شرحت فيه ان تقاعدي عن الجواب لم يكن لمرض في الجسم ولا لمرض في الحب ، سيما وان الثاني ما لم يركبه الله في سليقتي ، وانما كان توانيا وتسويفا ، ولا اقول تخفيفا عليك ، لان انقطاع كتبي واخباري عنك ممـا يحزنك ، الا وانت اول من تطمئن نفسي اليه من كل من على الارض مـن قريب وبعيد ، ويشهد لك ذلك انـي اكاشفك بباطن امري ، ولا تطوع لي النفس أن أكاشف سواك . ومالي وهذا وانت تعرفني وانا اعرفك ، اعلى الله مقامك ، وادام علاءك .

نوادر أبي زيد

قد طبعت اوراق الاشتراك في هذا الكتاب النفيس، وارسلت الى مقامك مائتي ورقة ، وانـي اراها دون ان تكافىء مروءتك ، واستقلها على نفوذ كلمتك ، والانقيـاد لايمانك . وفي يقيني اني بعد شهر اسمع انها توزعت .

والكتاب هو بخط عبد الله بن المكرم ، ولولا صراحة خطه ، وعلو قدر كاتبه ، ما اقدمت على طبعه ، وان كان

---

١ — كتاب تاريخ الاستاذ الامام ، ج١ ص ٤٠٠ و٤٠٣ .

٢ — في الاصل : « قبو العقو » ولعله سهو .

فيه من النفائس ما لا يعادله ثمن .

وان تيسر من يدفع مائة ليرة ، ويأخذ خمسمائة نسخة ، كان ذلك إسعافا على ابراز هذا الكتاب من وراء حجاب الخط . وربما بعض الكبراء تسمح نفسه بهذا على قصد ان يذكر اسمه ، ويشهد انه انفق على طبع الكتاب . وما هو بغريب عن اخلاق كبار المصريين ، ولا سيما اذا حصل له ترغيب من جهة المولى أطال الله بقاءه.

اني في اوائل شهر آب متوجه الى « شرتون » اقضي فيها شهرين ، ثم اعود الى بيروت لاتمام طبع ذيل « اقرب الموارد » ، وهو يبلغ نحو ثلاثمائة صفحة على غراره ، وقد اودعته زيادات كثيرة على التاج واللسان ، وفي نيتي ان اجمع ما وجدته من الخطأ في طبع التاج ، وارسله دولتلو ابهتلو مختار باشا الغازي ، لان دولته ممن يحبون التدقيق في الاعمال ، كما ظهر لي من مؤلفاته التي تكرم علي بها ، فان رأيتم ذلك مناسبا فعلت والا عدلت .

ان الآباء اليسوعيين ارسلوا الى الحضرة الشاهانية والى الصدر الاعظم جملة كتب من مطبعتهم ، ومنها نسختان من « اقرب الموارد » على غاية ما يكون من الاتقان والاجادة وحسن الزينة ، احداهما باسم صاحب الشوكة ، والاخرى باسم الصدر ، ولا ادري ما يكون من اثر هذه التقدمة ، وهل يحصل لي فائدة اذا امكن ان دولتلو المختار يتعطف ويكتب .

وقصارى الحديث اني اكل الى عنايتك بي تدبير هذين الامرين (النوادر ، وجائزة اقرب الموارد) ولا تؤاخذني فقد كابدت نصبا شديدا ، واجرتي بالميزان السوري لا بالميزان المصري . ثم ان في جنبك من اخذوا الالوف المؤلفة من الليرات ، ولم يأتوا الا ما لا فائدة فيه، ولست اطلب هذا غيرة او مزاحمة او تشبها ، وانما اطلبه لانه جبر خاطر ، ورفعة قدر ، وسعة بعد ضيق ، وقد طلبه من تقدمني ، وان لم اطلبه كنت ممن تهيأت لهم اسباب الشيء ثم تركوه ، وليس في هؤلاء عاقل ، وفي حكم اهل الصين : « لا يساعد الله من يترك الفرصة » فان كان مثل هذا التصنيف ـ وانت في وجاهتك وعنايتك لي ـ لا يكلل بالجائزة ، فبأي عمل اقف بابواب الملوك ؟ وفي زمان من هذا ؟.

وارجو التكرم بالاخبار عنك

آب سنة ٩١ — الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الثالثة فتاريخها واضح ، وهو « ١٣ رجب سنة ١٣٠٧ » ، وهي تتحدث عن عزل امير البيان شكيب ارسلان من منصبه ، بسبب الحقد عليه والحسد له ، ثم تشير الى فساد الاخلاق واضطراب المجتمع ، وتثنى على الاستاذ الامام . وهذا هو نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

رفعت الى مقام حضرة الاستاذ جواب كتابه الكريم ، وليس عندي اخبار مهمة اذكرها ، سوى ما تعلمونه من التجن في تلك الدعوة ، حتى كأن الرجل بمقام النصير الطوسي او الفخر الرازي ، ولم يبلغ والله من الحكمة اني منازلكم .

ان منصب الغض الادب والشباب الامير شكيب قد ذهب شهيد العفة والدراية ، لعن الله ارضا يتخامل بها على الفضل ، واطال الله عمر القائل :

قالوا تخاف الموت قل لهم : نعم   ذل الحليم وعزة السفهاء

فالموت والله خير من الحياة بين قوم لا يقومهم الا الاحدب ، شاب مهذب اليق من في قومه للمناصب يعزل بلا جريمة ولا رائحة تقصير ، عن منصب هو دون اهليته، فيا لله (٣) . قدس الله فما قال : « البلاد تحتاج الى التربية الصالحة » .

ومما يفرح سيادتكم ان هذا المجنى عليه قد استفاد في هذه المدة ما يقدره على مداورة الرجال ، ولو كان في دنيا واسعة لاخذ مقام من صاحبه قبيل العزل ، ومهما يكن فبعده عن ديار غلظ فيها الحس ، وخبث الذوق سعادة يكتبها في تاريخ عمره ان شاء الله .

هذه مساعدة ناشري قوائم الاكتئاب لمن هو عين قومه علما وذكاء . ولكن اذا فسد الذوق استوت الطعوم ، واذا فقد البصر سقط التفاوت بين الالوان .

كتبت مولاي والحدة قد اخذت مني لذكرى هذه الاساءة الى المشار اليه ، فأرجو صرف النظر عما ترونه من التخليط ، ان كنت اكتفي لاولئك بهذه البوادر

تحياتي لآل بيت الشيخ ، وسائر الاحبة الذين هم في الحقيقة احبة . وحيا الله مصر وبياها ، وكفى بها فخرا انها منبت الفضل ، ومشرق النور ، وما الفضل وما النور الا من اسأل الله ان يطيل حياته ويعزز مكانته.

بيروت في ١٣ رجب سنة ١٣٠٧ — الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الرابعة فهي بتاريخ : « ٥ كانون الاول سنة ١٨٩١ » . وفيها يهنىء الشرتوني الاستاذ الامام على نقله من وظيفة القضاء في مدينة الزقازيق الى وظيفة القضاء في العاصمة « القاهرة » ، ثم يشير الى الاشتراكات في كتاب « نوادر ابي زيد » ، ويذكر انه قد بدأ فعلا في طبع هذا الكتاب ، ويعود الى رجاء الاستاذ الامام في ان يكلف احد معارفه بتوزيع هذه الاشتراكات .

ثم يشير الى انه طبع نصف الذيل الذي جعله ملحقا لمعجمه « اقرب الموارد » . ويتحدث عن اعترافه تأليف كتاب جامع في اللغة يشتمل على الامثلة من الكلام القديم يبلغ نحو الفي صفحة وخمسمائة صفحة . وهذا هو نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

لا زالت المعالي ترحب بك مراتبها ، والمناصب العليا

---

٣ ـ هذه الكلمة غير واضحة في الرسالة .

تخطفك مما هو دونها ، حرصا علــى قدرك ان يكــون مبخوسا ، وحقك ان يكون منقوصا ، وبعد ، فقد بشرت ان منصب القضاء في القاهرة قد تزيــن بــك ، واعتــز بالاضافة الى كمالك ، فهنأت أهل تلك البلاد بما اصابوا من نعمة العدل فيك ، وغبطتهم على ما رزقوا مــن راحة الضمير على حقوقهم ، بتقليدك القضاء . وامـــا الشيخ فكل شيء فيه للناس منفعة ، فهو موضوع التهنئة لــه ، ووسيلة السرور الى قلبه .

قد تعجبت من كثرة ما كنت تشتغل في الزقازيق ، حتى صرت ألوم نفسي اذ كلفتك رد الجواب ، فضلا عن أني خجلت من التثقيل عليك في مسألة الاهتمام بالاشتراك في نوادر ابي زيد ، وصرت ألازم الدعاء لله ان يزيدك قوة ونشاطا ، ويحميك من هجمات الادواء وغارات الامراض، حتى تنفع خلقه بقدر ما اهلك لذلك . وفي خلال هـــذه المدة وردت البشرى بما أهنئك به ، فحمدت الله وسألته دوام نعمته عليك ، وان يرينـــي وجهك بالخير هنــا او هنالك .

باشرت في طبع « النوادر » وقد اسعفني صديق لي هنا بمائة اشتراك ، وانا ارجو ان كان لـــك من الوقت فرصة يسيرة ان توعز الى احد اودائك ان يوزع الاوراق التي هي عند حضرة الشيخ عبد الكريم ، وما اجد في هذا صعوبة ، لان للشيخ في اقل الامر نحوا مـــن خمسمائة رجل من وجهاء البلاد وكبارها ، الذين اذا قال للواحـد منهم : ادفع الف قرش ، يدفع ولا يسأله : ولم ذلك ؟. ثم انه له من جهتي كل الثقة . وبناء عليـه اضطررت ان اكرر المسألة بالالحاح السوري ، واعدا نفسي اني في اقل من شهـر اقبض خمسين لـيرة فرنساوية بـدل مائتـي اشتراك مرسلة من قبل حضرة الشيخ حفظه الله واطال حياته .

وصلت في الملحق الى الصفحة ١٥٠ وقد بقي علـى ١٥٠ صفحة ، وحينئذ يكون قد صار « اقرب المـوارد » اغزرها واجمعها بحول الله ورعاية فضيلتي الاستاذ .

وقد حدثتني نفسي بأمر ان تم لي اسعاف مـــن جهته ، وابرزته الى الوجود اكون قد اتيت بفائـدة فـي اللغة نحن على احتياج اليها . والامر هو اني قـد هيأت كتابا في اللغة مشتملا على الامثلة من الكلام القديم ، مـع ذكر كل ما يلزم حتى من المقيسات ، انحو بـــه منهـاج « اقرب الموارد » . وفي ظني اني ذكرت لك قديما شيئا من خبره ، فاذا تم لي ان يشتريه واحد مـــن المتمولين الكبار ، او دولة ، فحينئذ يكون لدى الناس كتاب لـــم يترك في اللغة شيئا ، ولم يدع في وجه الطالب مشقة .

ورب رجل يسمع هذا يقول : « امنية مخدوع » من الذي بقي يهتم في مثل هـذه الشؤون حتـى يتجشم نشر كتاب طويل كهذا ، يبلغ نحو الفين وخمسمائة صفحة ، يكون جامعا للاعلام والمصطلحات العلمية مـــع اللغــة .

ولكني لا آسف على عنائي ، وعندي ان من يقدم على طبع مثل « تاج العروس » هو ارغب في طبع مثل الكتاب المشار اليه ، خصوصا وان الكلفة اقل . وهـذا موضوع لست فيه اليوم ، وانما انا اليوم في نشر « النوادر » ، ويهمني ان احصل ما اقدمه لمدير المطبعة لسرعة ظهــور ذلـك الكتاب النفيس .

بيروت في ٥ ك١ سنة ٩١ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

هذا ولسعيد الشرتوني رسالة خامسة تحدث عنها رشيد رضا في « تاريخ الاستاذ الامام » وتاريخها «٦ ربيع الاول سنة ١٣١٦ » ، وموضوعها تقريظ كتاب « رسالة التوحيد » للاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهذا نصها :

« ايها الشيخ الفاضل

بينا انا في لوعة من طول البعـــاد ، واليأس مـــن اللقاء ، أتلقى اخبار مولاي من سيادة الحاج محي الدين حماده ، اذ وردتني هديتكم التي كشفتم بها عار العصر، وجلبتم له بها الفخر ، وهي مؤلفكم الفريـــد في علـــم التوحيد ، الذي لا ريب عندي ان الله يثيبكم عليه بكرامة الدنيا وسعادة الاخرى ، بعد طول العمر . ولـم اتعجب مما وقفت عليه فيه مــن البدائع ورأيته مــن الجواهر ، لصدوره ممن كشف الله عن بصيرتـه ، وميـزه بالاطلاع على اسرار المعقول والمنقول ، واختصه بفطـــرة شقيقة المروءة والكرم ، اخت كل مأثرة ومحمدة .

وما اظن ذوب العسل المصفى احلى عندي منـه ، اقراه ولا امل ، ثم اعيده ملتذا به ولا التـــلذاذ السامع عندما يسمع من المغني نغمة تطرب سمعـــه ، وتوائم ذوقه . فيا شرف العصر الاسلامي بك ، ويـا فخـر آدم بمثلك . فكأن الذي يطالع الكتاب المشار اليه يرى شخصا يشخص كل ما يخالج الفكر ويدور في الخاطر ، ولا يجـد المتفكر طريقا لاخراجه بعبارة تحمل معناه .

ما انت في كل ما تشرع فيه الا رجل جديد عندنا ، مع طول معاشرتنا وكثرة مخالطتنا ، فلا غرو ان يكــون دماغك مادة لكل بديعة ، ومخزنا لكل دقيقة . والخلاصة ان مثلك آية من آيات اللـــه تشهد بقدرتـه ووجوده ، وتصدع بان بين الناس فروقا بعيدة المدى .

هذا واسأل الله ان يتولـى مكافأتك علـى هـذه الخيرية ، ويديمك شرفا للانسانية وخير ركـن للاسلام ، بمنه وكرمه .

بيروت٦ ربيع اول سنة ١٣١٦ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

ان كل رسالة من هذه الرسائل تلقي ضوءا علـــى جانب من جوانب تاريخنا الفكري ، وكـل رسالة تقبـل التعليق عليها ، واستخلاص امور منها ، وذلك يحتـاج الى استئناف حديث ، فالى لقاء .

القاهرة أحمد الشرباصي

غـربـة الوطـن

وحدي أنـا
أسترجع الساعات والندم
وأنظر الماضي وقد رنحني الوسن
وأرقب الحاضر والآتي
ومن ومن
ويصرخ الالـم
أنت هنا في غربة الوطن

وحدي أنـا
والنيل نشوان يغني موجه الطروب
فيزهـر الربيـع
وتـورق الحيـاه
وتخفق القلوب
في لحظة سحرية الانـداء
افياؤها تعطر الدروب

وحدي أنـا
يا وطن الاحلام والمنى
يا نبضة في خافقي
لم تعرف الونى
أهواك ما رف تروى الحياه
وغـرد القمـر
وغازلت شمس الضحى ضحاه

وحدي أنـا
ألوذ بالنفس وبالخطى
استعجل الشروق والغروب
واكحل العينين بالرؤى
لعلني أعانـق العراق
فتسكت الاشواق
وحرق ظلت على المدى

وحدي أنـا
أسائل النجوم والقمر
والشمس اذ تشرق في
سهوله الفساح
وفي ضفاف الحب والامل
وتنسج الحياة في المقل
فتسكر الاقـداح

وحدي أنـا
يـا شمس يـا قمر
ويا نجوما طرزت سماءه سنى
هل يذكر الفرات
ودجلة الخير فتى هنا
يصارع الغربة والآهات
والشوق والعنـا

وحدي أنـا
تهصرني الاشواق
والحب والانين
وذكريات كلها حنين
لملعب الصبـا
وللربيع ضاحك السماء
وطرز الربى

وحدي أنـا
يا وطن الجمال والهوى
أصحو على ندائك الحبيب
وأرهف السمع فلا تجيب
وأنت في قلبي ولا أراك
في صحوة الكرى
فيصرخ الشوق متى ألقاك ؟

وحدي أنـا
يلفنـي السكون
وترقص الاشباح في قراره السحيق
مذعـورة الخطـى
كأنها سحائب الخريف
لا الفجر يهديها ولا الضحى

وحدي أنـا
وفي ذرى العراق
أغنية تطل من غدي
وزهرتان رفتا في برعم ندي
فيصرخ الالـم
عد للعراق أيها الشقي
قد يقتل النـدم

القاهرة

احمد مطلوب



الدكتور محمد رجب البيومي

هدية خادعة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

رجع غانم الاسدي من تجارته الرابحة الى منزله ببغداد، بعد سفر طويل استغرق منه قرابة ثلاثة اشهر .. وكان اثناء الطريق يفكر تفكيرا جديا في زوجته سلمى البصرية، ويتأمل ما طرأ على نفسها من سأم، ومـا ران علـى عاطفتها من جمود، لقد اصبحت ضائقة بمنزله الشامخ، تراه سجنا رهيبا لشبابها الغض، وجمالها الفتان!

ان زوجها يقطع الايام الطويلة غائبا عنها في تجاراته المتواصلة التي لا تكاد تنقطع حتى تعود! وليس معها غير خادم عجوز لا تؤنس نفسـا، ولا تسعـد جليسا، ان الوحدة لتكظم انفاسها، وتضيق على رئتيها الخناق .. ثم ان زوجها الرحالة بخيل شحيح يحاسبها على الدرهم قبل الدينار، ولا يكاد يسمح بغير القوت الضروري رغم ثرائه الواسع وماله العريض .. فاذا جلس في منزله يوما او بعض يوم، كان حديثه البارد عـن ضياعه وتجاراته، وما ينتظر في الغد من الربح، وما اوشك ان يضيع عليه من الحظ لولا حيلته البارعة، وذكاؤه اللماح ..

اما شجون القلب وحنين الاليف، وهمس النجوى فما لا يخطر له على بال، ثم هـو اذا تكلف غير طبيعته، وخاض فيه بعض الخوض يحس بانقباض فاتر يصرفه عن القول بعد لحظات.

هذه طبيعته التي يعرفها عن نفسه، وانه ليتصور شخصه بعد ساعات، وقد وصل الـى منزلـه وصول الضيف الثقيل الـذي لا يحس حرارة اللقـاء ودفء الاستقبال، فسلمى تسلم في تخاذل. وتصل القول في تصنع، ثم تنظر اليه نظر من لا يفرق بين ذهابه وايابه .. بل نظر من يود ان يتصل الذهاب كي لا يتكلف ما لا يطيق من المصانعة والاحتيال، فماذا عسى ان يصنـع ليزيل وحشتها الكئيبة دون ان ينفق درهما واحدا ينقص قليلا من ثرائه. فتلك التي لا تتحملها نفسه الطموح، لقـد جمع ثروته بكده المتواصل، وعرقه المتساقط ليتمتـع بمرآها الذهبي في خزائنه لا ليتقدم بها او بقليل منها الى زوجة كسول، لا تحتال للشـراء، ولا تعبـأ بالامـوال والضياع.

اجل .. كان هذا التفكير المحير يشغل ذهن «غانم» ويوقعه في أسف مرير، ثم برقت في ذهنه فكرة .. هش لها فؤاده، فأخذ يجيلها في خاطره، منقبا فاحصا، حتى اطمأن الى اكسيرها النافع وتأثيرها الحاسم .. ان معـه عقدا لؤلؤيا قد اشتراه من الهند بثمن مرتفع، لا يقـدر عليه تاجر غيره ببغداد، واذا ارادت سلمى ان تبيعه ذات يوم من ايام رحلته، فلن تجد من يقدر علـى دفع الثمن المنشود، انه وحـده ثروة متجمدة لا تقبـل التصرف والاستبدال، فلماذا لا يعرضه على زوجته حين يفاجئها بحضوره كهدية ثمينة اختارها لحبيبته، وقدمها دليـلا حيا على توهج شوقه واشتعال حنينه؟.

انها بلا شك ستغير مجـرى شعورها النفسي، وتجعلها تنقلب من معرضة نافرة الى مقبلة راغبة، وربما اندفعت الى حب مخلص لا يعرف السأم والفتور بل تعود حياتها في القصر مرحة بهيجة، وكأنها طائـر في حديقـة يتنقل من زهرة الى شجرة الى غدير!! ما عليه لـو قدم اليها هذا العقد لتحتفظ به في صوانها الخاص، بدل ان يحتفظ به هو في خزانته الحديدية ذات الاقفال السبعة، والنتيجة بعد ذلك واحدة .. فالعقد لزوجته في ظاهـر الامر، ولكنه في الحقيقة رهن اشارتـه، لا تستطيع ان تتصرف فيه اذا وسوس لها هاجس بالبيع والانفاق!!

تلك فكرة حصيفة لا بد ان ينفذها الرجل بلباقتـه الماهرة، وسيعود اليه ارتياحه النفسي حين يرى اشعة الحنان تشع من عيني سلماه، ورقة الحب ترف فـي همسها العطوف، ومظاهر الشوق تبرق في اسرة وجههـا الفتان، ولن يبقى بعد اليوم مجال للضيق والاشمئزاز.

وكانت ساعات عابرة تقلصت مـن حدود الزمـن لتدفع بغانم الى منزله فدق الباب في لهفة .. واندفع الى سلمى مؤتلق الجبين باسم الثغر، فغمرها بقبلاته، وقد وقفت ذاهلة مبهوتة، وكأنها تشاهد مسرحية مصطنعة، ثم تطلعت اليه في جمود .. فمد يده سريعا الى كيس من المخمل الناعم طرز بالذهب وضمخ بالعطر، ثم اخرج منه عقدا لؤلؤيا، تراقصت عليه اشعة الشمس من النافـذة

فكان كمصباح كبير يشرق فجأة بالحجرة ليغمرها بلألاء براق ...

واندفع الرجل فعلقه في جيد زوجته ، وطبع على جبينها قبلة حارة نطقت بما اراد ان يظهره من اخلاص ، وهدأ صوته قليلا قليلا حتى تحول الى همس رقيق ، حين قال : لقد رأيت هذا العقد في متجر اعظم دهاقين الهند، فخيل الي انه لا يأخذ جماله الفاتن الا اذا تحلى بجيد سلمى ، فبذلت نصف ثروتي ثمنا رخيصا له ، وهأنذا اقدمه اليك دليلا صادقا على وفائي الامين ، ثم سار حديثهما الرقيق في هذا المنحى ردحا من الوقت حتى شملهما الظلام فآويا الى الرقاد ..

كانت سلمى البصرية اديبة مثقفة تروي الشعر ، وتقرأ التاريخ .. ولولا هواياتها الادبية ما استطاعت ان تعيش وحدها في منزل ساكن لا يؤنسه سمير ، وهي بعد مرهفة الشعور ، متوقدة الاحساس ، ولها مع وجدانها الرقيق ادراك عقلي لماح يستشف السرائر ويستوضح الخلجات ..

وقد أوت الى فراشها لا لتنام ، بل لتفكر فيما وراء هذه الهدية الثمينة ، انها لتعرف شح زوجها البالغ وتقتيره الحريص ، ومثله في بخله الشديد لن يقدم لها هذه الثروة لتكون طوع يديها مرة واحدة ، لقد اكتشفت من حديثه وميضا يوحي بأن اعظم تاجر في بغداد لا يجرؤ على شراء العقد اللؤلؤي دون مجازفة خطيرة ، واذن فقد ضمن الزوج الا يباع ، وكأنه أهداه باليمين ليسترده بالشمال !! اي تضحية قام بها في سبيل الاهداء ؟ لقد ظن ان سيخدعها به متوهما سذاجتها البريئة وغفلتها الساهية ، ليته تقدم اليها بما يؤكل من الطعام وما يلبس من الثياب !!.

انه غبي ماكر يتوهم في نفسه مقدرة على ستر اهوائه واغراضه ، وانها لتتضح لكل ناظر حتى لتكاد تنادي على نفسها دون استتار ! ثم استرجعت انفاسها لحظات ، وهي تتقلب على الفراش القلق ، وقد سار تفكيرها في مجرى آخر ، فقالت بينها وبين نفسها ، لعلي سيئة الظن به ، ولعله غير بعض الشيء من سلوكه فقدم هديته في براءة لا تخفي الخديعة والاحتيال ، ثم صممت على ان تختبر شعوره بعمل حاسم تنكشف به السرائر ، وتفتضح النيات ، لقد تذكرت حبيبها الاثير ، وابن عمها الهائم سليمان البصري ، هذا الذي نشأ معها في منزل واحد ، وتأدبا معا على شيخ راوية غرس في نفسيهما حب الادب والقصيد ، وكانت تظنه فتاها المنتظر ، لولا ان والدها قد خدع بثروة غانم فآثره واختاره .. وما زال القلبان يشتعلان بالوجد ، وكثيرا ما نهض سليمان تحت ستار الليل في غيبة غانم ، وذهب الى القصر الذي تقيم به الزوجة فرويا الشعر ، وتطارحا الادب ، وتطلعت العيون ناطقة بما تكن به القلوب دون ان يخدشا حجاب المروءة ، او يهتكا ستر العفاف !!.

ان سليمان لاعز عليها من نور العين ، وسيلم بمنزلها غدا في هدأة الليل ، ولا بد ان تنتظره ساهدة ساهرة حتى اذا لاح شخصه تحت الشجرة الضخمة في حديقة المنزل كشبح عابر في الظلام ، نهضت اليه واخبرته بعودة غانم ثم اعطته العقد مترقبة ما تتمخض عنه الايام !!

اشرق الصباح فنهض الزوج لبعض شأنه في المدينة، وعاد مع الظلام فقطع مع صاحبته وقتا لذيذا يحفل بالسمر والايناس حتى رفرف النوم على اهدابه ، فتركته في هدوء ساكن لتؤدي رسالتها الهامة في ظل الشجرة الباسقة ، وقد فوجىء سليمان بالعقد ، فهم بالرفض لولا نظرة حادة عرف مدلولها الصارم من عيني حبيبته ، فاستسلم لمشيئتها الكبيرة ، وتسلل تحت الظلام الى مأواه ، فنهضت سلمى الى فراشها رابطة الجأش هادئة الخاطر ، وغرقت في نوم عميق ما زال يمتعها بأطيافه حتى ايقظها زوجها في الصباح فقامت متثاقلة ، وتناولا الطعام معا — كما اعتادا — دون ان يحدث جديد ، حتى اذا هم غانم بالخروج ، دعته في هدوء بارد ، واخبرته انها بحثت عن العقد فلم تجده في مكانه ، وقد رأياه معا قبل النوم، وتشهد كما يشهد ان المنزل لم يطرقه كائن ما منذ غرقا في السبات ، فأين ضاع ؟ ومن الذي عرف حقيقته حتى تخفى في المنزل وتصيده في الظلام ؟ لقد كانت البغتة صاعقة شديدة التأثير في نفس الزوج ، فانتابه اغماء حاد افاق منه بعد تعهد وعلاج ، وحين رجع اليه صوابه خرج مستطارا الى رئيس الشرطة ببغداد ليفضي اليه بالنبأ الكارث بين الشهيق والنحيب .

كان سعيد بن خالد بن يحيى البرمكي رئيس الشرطة البغدادي اداريا نافذ النظرة ، واسع التجربة ، بعيد الغور ، وقد اعطاه عمه جعفر بن يحيي البرمكي وزير الرشيد سلطة واسعة تجعل كل بغدادي يرهبه ويخشاه ، فله ان يقتحم المنازل الممنوعة دون اعتراض وله ان يدلف الى المقاصير المحجبة متى شاء ! وله في مهمته الرسمية ما يشفع له بحثا عن مؤامرة مزمعة او خيانة مدبرة !!

وقد استمع الى غانم في يقظة حازمة ، وألم بظروف حياته ، وحالة بيته ونفسية زوجته بعد اسئلة محبوكة لماحة وجهها في حكمة وسداد ، واجاب عنها التاجر في صدق واخلاص .

وبقليل من تفكيره الصائب لمح يد الزوجة وراء السرقة ، وامر التاجر في لهجة الحاكم المسيطر ان يأخذ قارورة من عطر خاص يحتفظ به ثم يمضي الى بيته متصنعا الهدوء ، مظهرا عدم المبالاة ، ويتقدم بها لسلمى في ملاطفة متحدثا عما ينتظره على يد الشرطة من نجاح في اعادة العقد واسترجاعه ، فاذا اصبح الصباح قام برحلة

تجارية جديدة تستغرق شهرين .. وحين يعود سيجد الكنز الغائب بين يديه ، ولم يجد المسكين بدا من التنفيذ العاجل فبادر بالرحيل ونفسه الحائرة تضطرب بين اليقين والشك واليأس والرجاء !.

وجاءت الخطوة الثانية .. فاحضر سعيد البرمكي شرطيا من خيرة اعوانه ، واطلعه على ما لديه من عطر بوليسي لا يشاركه فيه مشارك ، فعرف رائحته المتميزة، وتشمم مذاقه المنفرد ، ثم امره ان يجلس على راس الدرب المفضى الى منزل غانم كل ليلة ، فاذا عبر عابر تشمم رائحته ، وتعرف ثيابه حتى يصادف من يتعطر بمثله ، فيحمله اليه ، وقد صدقت فراسة الرئيس .. فما لبث ان جاءه تابعه بسليمان البصري يضطرب من الخوف .. فهدأ من روعه ، وسأله في هدوء :

ــ اين العقد اللؤلؤي الذي حملته من منزل غانم ؟.

فذهل سليمان لسؤال لم يكن يتوقعه ، وحاول الانكار ، فصاح به سعيد : « لقد اعترفت سلمى امامي بانك اخذت العقد فعلام الهروب ؟ » .

فتخاذلت شجاعته ، واعلن ان العقد معه .. ولكنه يخشى فضيحة قلبين على رءوس الاشهاد !

ففكر سعيد مليا ، ثم بعث بمن حمل اليه سلمى فكانت بين يديه بعد لحظات ، وتطلعت في حجرة الشرطة فلمحت ابن عمها ، ورات انوار العقد اللؤلؤي تشع في توهج ، فلم يخذلها ثباتها الحازم ، وقالت في صراحة :

ــ ايها الامير ، لقد تقبلت الهدية فتصرفت فيها كما اريد .. واني لصاحبتها : ففيم اللام ؟

فقال سعيد في انكار :

ــ وهل يرضى غانم ان يأخذها سليمان ؟.

فبادرت تقول في شجاعة لم تبرحها بعد : « ان غانما يملك جسمي وحده ، وقد حفظته له ، دون ان يعبث به انسان .. اما قلبي النائح في صدري فله ان ينبض حبا لمن يشاء » .

فأطرق سعيد اطراقة المفكر ، ونظر الى الحبيبين ، وقد سبر ما يخفيانه من حب وحنين ، وتأكد لديه ان بقاء سلمى عند غانم في وحشة الوحدة ، وجفاء العشير هم لا يطاق ، فعقد العزم على شيء خطير ، وطلب اليهما في رفق هادىء ان ينصرفا كل الى بيته ، وستأتي الايام بما لا يتوقعان !!

حانت اوبة غانم ، فاتجه الى دار الشرطة قبل ان يعرج على منزله ، ولا يعلم غير الله ما كابد في رحلته المضنية من طوارق الهم ، وشواغل الشجن ، حتى صار كطيف نحيل يتعثر مع النسيم اذا هب عليه هبة رقيقة !! وحين استأذن على سعيد لم يمهله بل عجل باستحضاره، ثم فاجاه بهذا السؤال :

ــ ايهما آثر لديك عقدك اللؤلؤي أم زوجتك سلمى؟

فارتبك الرجل ، ونظر كالحائر دون جواب ، فانطلق سعيد يقول في صرامة :

ــ لن تجمع بعد اليوم بين الزوجة والعقد فاختر ما تشاء !

فشخص غانم ببصره قليلا ، ثم قال :

ــ ان العقد ثروة نفيسة لا يمكن ان افرط فيها بحال !

فقال سعيد ، وقد أخرج العقد من كيسه المخملي: « ها هوذا يا صاح : ولا بد لسلمى بعد طلاقها من تعويض مالي لا يرهقك في شيء ! ستدفع خمسمائة دينار دون نقصان !! »

ولم ينتظر ان يسمع الجواب ، فأمر بمن يذهب معه الى منزله ليحضر سلمى اليه ، وليقبض الدنانير خمسمائة كما قدر ، ثم ليرجع به ليعلن الطلاق .

وبعد ثلاثة اشهر ، كانت سلمى البصرية في منزل زوجها الحبيب سليمان يرتشفان القبل الظامئة، ويبردان الجوانح الفائرة ، ثم يرويان قصائد البهجة واللقاء ، بعد ان رددا تحت شجرة البستان زفرات البعد وأنات الحرمان !

القاهرة — محمد رجب البيومي

عبثاً

عبثا افتش عن شبابي في الازقة والزوايا
او في الحوانيت الندية ب .... وبالصبايا
لم يبق لي فيها ــ أجل ! لم يبق لي فيها خبايا
ولى الشباب ، فليس الا الذكريات له بقايا
ولى مع الزمن الشريد ، فكل احلامي ورايا
ولى ، وكان له مع الهيفاء ــ رائعة ــ مزايا

كنا هنا يوما ، تحفزنا الى اللقيا العطايا
ويد الشباب تشدنا نحو المراشف والثنايا
كنا هنا ، واليوم مثقلة بأعوامي خطايا
قد عاقها ، بل غالها ، أنف الكريم من الدنايا
والخوف ان تلقى الصبابة حتفها بين البقايا
وانا الذي قد عشت ارعاها طويلا في الحنايا

عبثا افتش في الازقة والزوايا عن صبايا
ولى الشباب ولم يدع من كاسه الا شظايا

لندن — محمد عبده غانم

— أرجوك من انت .. من انت ... من ....

ولم يتلق غير الصمت ، فقد انقطع خط المكالمة ، ووضع سماعة الهاتف بيد مرتعشة ، وعين زائغة ، وتغيرت ملامح وجهه ، واخذ يفرك يديه في ضيق ، وبدأ يتلعثم ويسائل نفسه من يكون « رسمي » هذا .. زوجتي تخونني .. لا اصدق ، من تكون تلك الانسانة التي حاولت الاتصال بي .. وما غرضها .. ربما لا تقصد غير المعاكسة ، ويا لها من معاكسة سخيفة .. ربما .. ولكن لا .. انها جاءت بأدلة ثابتة تشير الى اسم زوجتي وعملها ، والموعد.. والمكان الذي تذهب اليه.. بالاضافة الى اسم الشخص الذي يدعى « رسمي » ..

واخرج من جيبه علبة سجائره واشعلهاوبدأ يأخذمنها نفسا عميقا.. بعصبية ، وسحب منها سيجارة واستشعر النار بين جوانحه ، وحاول ان يضبط اعصابه ، ولكن دون جدوى .. فقد هزه هذا الامر، مصيبة كبرى لو تحققت هذه المكالمة ..

وحمل سماعة الهاتف الى اذنه ، وادار القرص برقم هاتف عمل زوجته .. انه مشغول .. ووضع السماعة واخذ نفسا طويلا من سيجارته ..

وبعد برهة مضت كأنها الدهر ، حمل السماعة مرة اخرى وادار القرص، النمرة ما زالت مشغولة..

وضاقت الدنيا في وجهه واحس كأنه يقف على رأسه والاشياء التي من حوله مقلوبة ..

ونظر الى ساعته ، ثم عاد وحمل السماعة مرة اخرى ، وادار القرص واخيرا رن جرس هاتف الشركة وسأل عنها .. فكان الرد انها غادرت الشركة منذ نصف ساعة ...

ووضع السماعة واخرج من جيبه علبة سجائره وسحب منها سيجارة واشعلها من السيجارة التي في فمه .. وبدأ يحدث نفسه في مرارة .. غادرت عملها منذ نصف ساعة اي الساعة الثانية عشرة .. حتى تتمكن من الذهاب اليه في الساعة الواحدة كما قالت السيدة بالضبط فعلا .. المشوار طويل يحتاج الى ساعة كاملة في الاتوبيس على الاقل ..

وبغتة .. غادر عمله .. وسار في طريق طويل بدا ضيقا ولا نهاية له ، متخاذل المشية ، واحس كأنه يسير وحده في هذا الطريق لا يرى امامه سوى غشاوة تحجب عن عينيه كل شيء ..



بقلم رستم كيلاني

وتراقصت امام عينيه صور كثيرة ، وتزاحمت الافكار السوداء في مخيلته كخيوط العنكبوت المتشابكة ، ويعود الى نفسه وسط هذه الدوامة ليسمع صوتا خافتا صادرا من اعماقه يدعوه للذهاب والتأكد اولا من صحة قول هذه السيدة ، حتى لا يتسرع في الحكم فان مع السرعة الندم ..

ويطفو في داخله هاتف عنيف يلح .. اسرع واقتلها انها تخونك .. فهي لم تقدر شعورك .. ولا شعور اطفالك .. اسرع واضغط بيدك على عنقها وعنق عشيقها وتخلص من هذه الفاجرة ..



ويعاوده صوت آخر .. صوت هادىء متزن .. واذا قتلتها فكأنك قتلت اولادك .. سيعيشون طوال حياتهم يلوثهم عار امهم .. وانت ايضا ستسجن .. اذن لا تتصرف الا بعقل واع وحكمة .. انظر الى اولادك .. طلقها عندما تتأكد من خيانتها ودعها وشأنها ..

وعندما بلغ نهاية الطريق وقف حائرا ماذا يفعل .. والى اين يذهب ، فقد خيل اليه انه ضائع في هذه الدنيا التي بدت لعينيه كالحة .

ووضع يده داخل جيبه ليخرج علبة سجائره ، فالتقت يده بعنوان « رسمي » ووقف يتأمله ، ثم اشار بسرعة الى (تاكسي) مرق بجانبه ، وركبه ، وفي الطريق كلما وقع بصره على امرأة تسير كاد ان يبصق على وجهها ويتمتم بصوت مخنوق ليس مسموعا (خائنة) كل امرأة خائنة .

الطريق طويل ، ومضى يتساءل ، ماذا صنع لها لتضعه في هذا الموقف .. لقد كان لها أخا ، وحبيبا ، وزوجا مخلصا ..

وقف (التاكسي) امام عمارة ضخمة عالية بدت له كوحش مخيف رابض له في الطريق ..

وصعد العمارة .. وفي كل درجة كان هاتفا الخير والشر يحومان حوله في سرعة متلاحقة :

« اقتلها .. لا تقتلها .. اقتلها .. لا تقتلها .. اولادك » .

ووقف امام الشقة ، وبيد مرتعشة ، وقلب واجف دق الجرس وكل جزء في كيانه يرتعش ، وفتح الباب بعد مدة شاب نحيف يرتدي المنامة بدا عليه الاضطراب لرؤيته..

فشخص « بهجت » ببصره قائلا:

— الاستاذ رسمي ؟
— نعم .. ماذا تريد ..
— اتسمح لي بالدخول ؟
— قبل ان اعرف من انت ..
— انا .. انا زوج السيدة التي معك ..
— ماذا تقول ؟

ولم يستطع صبرا ، فأزاحه من طريقه الى الداخل واغلق الباب خلفه وهو يردد :

ـ زوج السيدة التي معك ..

قالها وهو ينتفض والشرر يملأ عينيه ..

وبصعوبة بالغة بعد ان خيل الى « رسمي » انه فقد صوته هممم مأخوذا :

ـ زوج من ؟

ثم صمت « بهجت » لحظة ، وقال :

ـ طبعا لم تكن متصورا ان يحضر زوجها الآن .. ويقف بهذه الصورة اتسمح لي بأن اريها وجهي ..

وعندما بدات من « رسمي » حركة اعتراض ، استطرد « بهجت » في هدوء قاتل قائلا :

ـ لا تخف انني جئتك مسالما دون ان اخطر البوليس كما لم اخطر اهلها .. ان هذا الامر خاص بي وحدي وسوف انتهي منه بسلام وبدون أي فضيحة ..

وبعد هنيهة قال « رسمي » ساهما :

ـ ولكن ..

فقاطعه « بهجت » :

ـ ارجوك ..

وانتظر « بهجت » في البهو وهو يغلي ، وبعد فترة قصيرة ، عاد « رسمي» ومعه سيدة علا الشحوب وجهها ، وبدا عليها الارتباك والاضطراب ، وما كادت تضع عليها عينا « بهجت » ، حتى صاح من اعماق نفسه :

ـ انت .. أوصل بك الحد الى هذا ..

وتساءل « رسمي » في ذلة :

ـ أهي زوجتك ؟

اجابه « بهجت » على الفور :

ـ لا يا سيدي الفاضل انها « نادية » الشغالة التي تعمل عندي

فحدق « رسمي » في وجه «بهجت» مدهوشا ، وقال :

ـ شغالة ..

والتفت « بهجت » اليها قائلا وعيناه تقدحان بالشرر :

ـ أوصل بك الحد الى انتحال اسم زوجتي في عبثك ومجونك ماذا فعلت بك سيدتك لتزجي باسمها في هذا الوضع الشائن ومتى تعرفت على الاستاذ ..

وانخرطت في البكاء ، وخفضت من رأسها ، وهي تقول بصوت مخنوق في اضطراب :

ـ منذ شهور ، وكان السبب في ذلك زوجتك .. نعم زوجتك فكثيرا ما كانت تنهال علي ضربا وسبا .. وخاصة عندما تجدني اتحدث مع اي انسان من الخدم ، او ارتدي ثوبا يكشف عن صدري او ذراعي ، لذلك اردت ان انتقم لنفسي .. فأقدمت على ذلك ..

فاهتاج « بهجت » صائحا :

ـ أيصل بك الانتقام الى هذا الحد يا ماجنة يجب عليك ان تدفعي الثمن غاليا ، تعالي معي ..

★

وفي قسم الشرطة .. تمكن الضابط المحقق من انتزاع اعترافها بما حدث ..

وغادر القسم « بهجت» ، واخرج من جيبه علبة سجائره وسحب منها سيجارة ، واشعلها واخذ منها نفسا عميقا .. وتنهد في ارتياح ..

★

كان الوقت متأخرا عن ميعاد الغداء ، عندما عاد « بهجت » الى البيت ، فلم يكن متعودا ان يذهب الى بيته في مثل هذا الموعد ..

وعندما دخل رأى زوجته تنتظره في البهو ، واستقبلته هي واولاده ، وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة كعادتها ..

وحياها تحية المساء ، وقبل أولاده ، ودخل غرفته ، وبدأ يخلع ثيابه في تؤدة ..

وبعد فترة ، دخلت عليه زوجته والفتة مستلقيا على الفراش ويحملق بنظراته الى السقف في استرخاء ..

وقالت له :

ـ لقد تأخرت عن ميعادك يا بهجت اليوم ..

ـ آسف يا عزيزتي .. لقد ذهبت الى زيارة زميل مريض ..

ـ اذن ساعد لك الطعام ..

ـ لا داعي .. لانني متعب ..

ـ تتصور يا بهجت انني عدت من الشركة فلم اجد « نادية » بالمنزل حيث تركت الاولاد بمفردهم ..

ولم يبال (بهجت) بحديث زوجته ، ومضى يقول :

ـ لقد اتصلت بك اليوم في المكتب ولم اجدك أين كنت ؟

وقالت في دلال وخفة :

ـ كنت في مشوار مهم .. مهم جدا ..

ـ اذهبت الى ماما ؟

ـ لا مشوار أهم من ذلك ..

ـ الى أين ؟

فصمتت برهة ، ثم قالت :

ـ اتريد ان تعرف ؟

فأجابها مبتسما :

ـ هذا موكول اليك .. وعلى كل فأنا مصدق لك ..

ـ اذن اغمض عينيك .. وانتظر ..

وجرت في خفة ناحية (دولابها) واخرجت من حقيبتها شيئا أخفته خلف ظهرها ، وتدانت منه وهي تهمس :

ـ افتح عينيك ..

وفتح عينيه .. وقدمت له علبة من القطيفة الزرقاء ، علبة صغيرة امسكها بيده ، وفتحها برقة ولهفة وهو يعتدل ، لقد وجد بها دبوسا ذهبيا للكرافته ..

وقالت له في رفق وهي تنحني وتقبله في جبينه :

ـ كل سنة وانت طيب يا حبيبي اليوم عيد ميلادك ..

واحتبس في فمه القول، وتعانقت عيناه بعينيها في نظرة طويلة ملؤها الحب .. والشوق .. واللهفة .. وكانما يشاهدها لاول مرة بعد غياب طويل .. وما لبث ان اقترب منها، حتى لامس فمه خدها ، ودمعت عيناه ..

القاهرة **رستم كيلاني**



عامر محمد بحيري

حصــاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

ثورة في الفردوس ..

كان شاعر العراق الكبير ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، شغلي الشاغل ، بعد وفاة حافظ وشوقي .. منذ ان اعلن الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين ، يومئذ ، ان امارة الشعر قد انتقلت من مصر الى العراق ، وانه يرشح الزهاوي ليخلف الشاعرين الكبيرين على منصب الامارة .. ورغم اهتمامي يومئذ بشعر العقاد في مصر ، ورغم ان العميد طه حسين نفسه عاد بعد اقل من عامين ، في ابريل ١٩٣٤ ، فاعلن رأيا جديدا ، اذ قدم لواء امارة الشعر للعقاد ، ودعا الشعراء ان يسارعوا بالالتفاف حول هذا اللواء .. اقول برغم ذلك فقد ظل اهتمامي بالزهاوي وشعره ، في هذه الفترة ، اهتماما كبيرا .. وساعد على استمرار هذا الاهتمام ، ووضوح اثره ، ان المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات ، صاحب « الرسالة » .. اخذ ينشر على التوالي في مجلته ، شعرا للزهاوي يرسله اليه من بغداد .. واكثره شعر فلسفي ، كان بلا شك يجد كثيرا من المعارضة .. ولكنه كان في الحقيقة يحمل من عمق الفكرة ، وطرافتها .. ومن قوة الديباجة ، ووضوحها .. عن كثير مما كان ينشر يومئذ ، ما جعلني الازم قراءته ، والاهتمام به ، وبصاحبه ..

وكنت في اواخر عام ١٩٣٥ ، واوائل عام ١٩٣٦ .. مشغولا بقراءة ديوان للزهاوي .. هو من آخر دواوينه يسمى « الاوشال » .. وكان الديوان يحتوي على مجموعة كبيرة من القصائد ، وكانت السمة البارزة في اكثرها هي هذا « التجديد » الذي دعا اليه الشاعر ، وطبقه بالفعل .. وسمي يومئذ بالشعر الحر ، او المرسل ، او الجديد ، او المنطلق .. او غير ذلك من هذه الاسماء ، التي تطلق دائما ، هي بعينها ، على كل موجة تجديدية ، تعمد الى تغيير الاشكال القائمة ، سواء احلت محلها ما هو أصلح منها ، او ما هو مثلها ، او ما هو دونها .. من الاشكال .. على ان التجديد في ديوان « الاوشال » كان معقولا ، وكان يعجبني ، وقد حاولت يومئذ مثله ، ثم طويته .. ولو دعيت اليوم ، بعد فوات الاوان ، لكتابة شعر مرسل ، لما عدوت تلك الطريقة ، التي كانت لا تزيد على هجر القافية وحدها ، مع الابقاء على اوزان الخليل ، وعلى شطري البيت ، والاعتماد فقط في آخر كل شطر على الروي ، الذي يختلف من شطر الى آخر بطبيعة الحال ..

وعندما كنت مديرا لتحرير مجلة « الثقافة » بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٥ .. ذكرت هذا الديوان ، وهذه الطريقة للاستاذ الكبير ، المرحوم محمد فريد ابي حديد .. فاهتم لها اشد الاهتمام ، واظهر رغبة شديدة في الاطلاع على ما ذكرت من امر ، اكد لي انه لم يعرفه من قبل .. مع انه هو نفسه قد اتبع مثل هذه الطريقة ، عندما حاول ترجمة بعض مسرحيات شكسبير ، في شعر مرسل .. قرأت بعضه يومئذ – اي في اوائل الثلاثينات – وذكرته به ، وحدثني عنه بتفصيل، وهو بالغ السرور والغبطة ..

على ان ديوان « الاوشال » للزهاوي .. رغم هذا التجديد في الشكل .. كان يحتوي في آخره على ملحمة طويلة ، بلغت ابياتها عدة مئات .. والتزم الشاعر فيها قافية واحدة كما هي الحال في الشعر العمودي .. وعنوانها « ثورة في الجحيم » .. وهي من الافكار الجريئة التي كان يطلقها الزهاوي هنا وهناك .. مقلدا في ذلك الشاعر ابا العلاء المعري ، من قبله .. في اغلب الظن .. غير مبال بما تثيره هذه الافكار من معارضة رجال الدين بصفة خاصة ، وما تؤلب عليه من سخط الجماهير بصفة عامة ..

على اني – كما ذكرت في فصل سابق – كنت اكره الالحاد والملحدين .. ولكني لا اجد مندوحة عن قراءة هذا الشعر ، الذي يفتح امامي آفاقا جديدة ، وانا في مطالع الشباب ، اذ كنت يومئذ في الثالثة والعشرين من العمر .. ولذلك قرأت قصة « ثورة في الجحيم » .. التي لا اذكر منها الآن – لاني لم اطلع على شعر للزهاوي بعد تلك الفترة – سوى خيالات بعيدة ، لعلها تتمثل في ان زبانية الجحيم ، ومن دخل اليها من المحكوم عليهم بدخول النار ، قد قاموا بثورة ، وطالبوا فيها بمطالب ، دفعهم اليها ما يجدونه من عذاب ، وما يلتمسونه من انقاذ ..

لست اذكر بالضبط .. ولكن الفكرة التي سرعان ما خطرت ببالي ، هي الرد على هذه الملحمة .. وما دامت ثورة الزهاوي قامت في الجحيم ، فلا بد ان تكون الثورة المقابلة لها في الفردوس .. وراحت الفكرة تنشأ تباعا ، وامواج الافكار المتتابعة تمر بالذهن ، موجة اثر موجة .. وكان البحر والقافية اللذين اختارهما الزهاوي بسيطين ، سهلين .. فليكن الشكل هو ذات الشكل ، وان كان الموضوع سيختلف دون شك عن ذات الموضوع ..

كانت فكرتي متابعة لما هو مأثور ، ومحفوظ .. فسرت مع نفسي – بعد موتي بالطبع – منذ ساعة الدفن ، حتى اوشكت على دخول الجنة .. وقد مررت في ذلك باهوال عظام .. ولكني ما كدت اعبر الصراط .. حتى توقف الذهن ، وهجمت الشواغل ، فعاقتني عن اتمام هذا العمل الادبي الباكر ، الذي كانت له ولا شك قيمة كبرى.. بعد ان كتبت فيه اكثر من ثلثمائة من الابيات !

ولا بد ان اقول ان هذه الابيات ، الثلثمائة .. كما اراها الآن بعين الناقد ، فيها الغث وفيها السمين .. وقد صرفت النظر عن الغث ، فلم استشهد بشيء منه .. واستشهدت فقط ببعض الابيات الجيدة ، دون ان ادخل عليها اي تعديل .. فهي في نظري قوية في ذاتها ، وابقاؤها دون اية رتوش انصاف لهذا العمل الباكر ، من شاب مخاطر ، مغامر ..

كان العنوان الذي يقدم لهذا العمل .. يجري هكذا :

« ثورة في الفردوس » .. وهي فصل متمم لقصيدة الزهاوي « ثورة في الجحيم » .. تاليف عامر محمد بحيري ـ بالجامعة المصرية .

وكانت الملحمة مقسمة الى فصول ، كل فصل يحمل عنوانا طريفا .. وهذا طرف من حديث الفصول ، وعناوينها ، وبعض ابيات منها ..

عنوان الفصل الاول « سؤال الملكين » .. ويبدا الحديث فيه هكذا :

خفت الصوت ، والبكاء المرير   وتلاشى مع الشهيق .. الزفير
وتلقى العزاء في .. ذوو القر   بى .. فمنهم فتى ، وشيخ كبير
ثم ولوا معجلين .. سراعا   يطلبون الميراث .. وهو يسير

هل رأيت ؟ لا يكاد الميت يوضع في قبره ، حتى ينصرف اقرب الناس اليه ، يتنازعون الميراث . على اني لم اكن ذا ثروة كبيرة ، انما كانت ثروتي هي الاصدقاء .. والذين يظهرون حبهم لما اقول من الشعر :

لم اكن في الحياة اكنز مالا   ان كنز الاموال بعدي غرور
ومضى الاصدقاء يبكون بالدمع صديقا .. به تضن العصور
انهم اسعد الالى ورثوني   ورثوا الذكريات .. وهي كثير
ورثوا الصدق والوفاء جميعا   ورثوا الحب .. وهو روح طهور
والالى كان يزدهيهم قصيدي   ورثوه .. وانه لا يبور
جمع الشعر حول نعشي جمهو   را .. ولولاه ما اتى الجمهور

على ان العبرة من سير المشيعين وراء الميت .. تظهر بعد ذلك :

ساعة جمعتهم حول قبري   ثم ساروا عني .. وغاب الحضور
قفل الناس .. راجعين الى الدنيا .. جميعا .. فسعيهم مشكور

بقيت وحدي في القبر .. انتظر الحساب ، ولكن يظهر انني حتى في هذا الموقف الرهيب لم اكن ابالي بشيء .. فالبيت التالي يقول :

كنت في القبر لا ابالي بشيء   أنا مالي .. أنا امرؤ مقبور ..

ولكني احس بعد ذلك بشدة الكرب ، وتدور رأسي ، ويستبد بي الخوف ، ويكاد يطير عقلي مما بت اخشاه :

انا مهما يكن قويا يقيني   فقوى المرء في الضريح تخور
انه خطوة الى الله اولى   ستليها خطى اليه كثير
ان حسن الختام.. ان يحسن البد   ء .. فان لم يكن فساء المصير

على ان الله اكرمني في هذا الموقف ، فحلت عقدة لساني ، ونطقت بالشهادتين بلا عسر او مشقة .. ففاض الرضى بصدري ، وعم السرور وجهي ، وخف الضريح تحتي حتى كانه سرير ناعم ، وظهر النور فاضاء ما حولي من ظلام .. ثم سمعت طرقا خفيفا ، فرحبت بالقادم ، وما حسبته الا صديقا من اصدقائي القدماء ، وهو على اية حال اخ او سمير جاء يؤنس وحشتي ..

قلت هذا ، ولم يزل يعصف الشك بقلبي ، فأنني مذعور
من يكون الضيف الجديد ؟ اهذا   ملك .. جاء في الضريح يزور
ام هو اللص .. جاء يسرق اكفا   ني .. اذا اظلمت علي القبور
هو اما من السماء .. فسام   او من الارض .. فهو شخص حقير

على اني عرفت القادمين ، فزال الشك ، وحدث بعده الاطمئنان :

صافحاني ، فقلت : اهلا وسهلا   انني اذ قدمتما مسرور
لم يقم بعد ذاك عندي شك   ان ضيفي .. منكر ، ونكير

ثم ننتقل الى الفصل الثاني .. وفيه تبدا المحاورة الطويلة ، الطريفة بيني وبين ملكي الحساب .. وقد كان اول سؤال منهما سؤالا خطيرا ، وقد تولى احدهما القاء الاسئلة ، وانا اجيبه .. كان عنوان الفصل الثاني هو :

« السؤال عن ذات الله ، والاجابة بالعجز عن معرفتها ، وبالوحدانية»

قال : من ربك الذي كنت تدعو؟   قلت : ربي هو السميع، البصير
يفعل الله ما يشاء ، ويقضي   ان ربي لما يشاء قدير
وله القوة الخفية في الكو   ن ، كما شاء فالحياة تسير

وكنت طالبا في كلية الآداب ، ادرس الفلسفة والمنطق ، فرحت اظهر للملكين مبلغ علمي ، ومدى ايماني بالله ، وانحى باللائمة على الجاحدين المنكرين :

ولكم فكرت فلاسفة ما   ضون فيه .. فخانها التفكير
ومن الناس في العبادة وهريسون .. قالوا ما للوجود مدير
ان في مصر كان يعبد ابيس .. بجهل .. ويرتجي هاتور
ان ابيس .. من طرائف ما ير   وون .. عجل حول السواقي يدور
وله غرة مثلة الشكل على عينه ، وجسم كبير

ثم لخصت قضية البعث ، تلخيصا مرضيا معقولا .. فما معنى ان يظلم الانسان في حياته ، ثم يموت ، فلا يبعث لكي ينال حقه المهضوم ؟

واذا المرء كان يفنى ، ولا يبعث حيا .. فانه لحقير !

والله سبحانه واحد لا شريك له ، وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ، لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا .. ولذلك فلا بد من ان تلون هذه الفكرة الدينية ، بما يحيط بالحياة الحاضرة من صراعات سياسية وحزبية :

واذا كان للاله شريك   فسد الصنع منه والتدبير
فرأينا على السماء انقساما   وخلافا يجري ، وشعبا يثور
ورأينا الملائك العصم احزا   با .. وكل من حوله جمهور
وسمعنا بالاكثرية ، والقلة .. فالامر في السماء خطير
واذا عز في السماء انتخاب   الغي البرلمان ، والدستور
جل ربي عما نقول بجهل   ان ربي هو العفو الغفور

ونصل الى الفصل الثالث .. وهو اعمق فكرة ، ولذا فعنوانه اعجب .. يقول : « سؤال عويص لاحد الملكين ، زيادة في اختبار الميت ، وفيه حديث الحب الآلهي العجيب » ..

لقد شجعني هذا الملك ، بعد اجابتي الاولى ، ولكنه حذرني من الكذب ، فيما سيلقى علي من سؤال عويص .. كان مفاده انه يشك في انني احفظ ما يقال لي كالببغاء دون تفكير فيه ، واني لقنت في الحياة كلاما جئت ادلي به طالبا النجاة .. ثم راح يشككني فيما قلت :

ربما لم يكن هناك اله   او احاطت بالغيب منه امور
كيف صدقت ما يقول نبي   بشر بين اهله وعشير

هذا هو السؤال المحرج ، فماذا قلت ردا عليه ، وبماذا اجبت؟

قلت : انني عرفت ربي بالغيب .. وربي هو اللطيف الخبير
ولقد طال عن حقيقة هذا الكون بحثي .. وانه لخطير
ورأيت النجوم تسرى من الليل سراها ، وفي الصباح تغور
ورأيت المدى نهارا وليلا   ميزته شموسه والبدور
ورأيت الشتاء والصيف فصلين .. فهذا شمس وذا زمهرير
ورأيت الخريف فيه جفاف   ورأيت الربيع فيه زهور
هو كون نظامه مستتب   لم تغيره اذ تمر العصور
كل هذا كاف .. ليجعل للاكوان ربا .. هو العزيز القدير

وراح الملك في الفصل الذي بعده يسائلني عن الرسول والكتاب .. وعنوانه : « السؤال عن الرسول والكتاب ، وفيه عود الى حديث الحب ، والديمقراطية النبوية » ..

قال لي : من تبعته من نبي ؟   قلت : هذا هو البشير النذير
النبي الذي بمقدمه بشر .. عيسى المسيح .. وهو طهور
انه خاتم النبيين طرا   فهو هاد ومصلح ومشير
وهو في الحرب قائد ذو فنون   وهو في السلم صالح وعشير
ان اخلاقه هي المثل العليا .. لشعب الى الكمال يسير

وانتقل الملك فجأة ، بعد هذه الاسئلة التقليدية ، الى السؤال في موضوعات معاصرة ، تحيرت لها .. فقد سالني عن « رسالة الازهر في القرن العشرين » .. وكان هذا هو عنوان الفصل التالي .. ولكني لست راضيا اليوم ، عما كتبت في هذا الفصل ، من هجوم ودفاع .. كما ان اسلوبه لا يرقى الى مستوى القصيدة في مجموعها .. ولم يعجبني منه غير بيتين في وصف الازهر الشريف نفسه :

مسجد شاده المعز لدين الله .. وهو الخليفة المشهور
عمره اليوم وهو يبلغ الفا   في حياة الشعوب عمر قصير

وزادني الملك حيرة حين تحول من السؤال عن الازهر ، الى السؤال عن الجامعة .. بل عن اخص الموضوعات المتصلة بالحياة الجامعية (. . . . .)

وكان لا بد للملك ، وقد وصل الحديث الى هذا الحد ، ان يسالني عن العميد نفسه ، الدكتور طه حسين .. الذي قاد حركة التطور في شجاعة ، وايمان ، واقدام .. ولهذا كان عنوان الفصل التالي هو : « مكانة طه حسين ، وعلمه ، وفضله ، وراي في موقف خصومه منه » ..

سالني الملك عن طه حسين ، وتاثره بمذهب ديكارت .. فكان مما قال :

هو ممن دعوا لمذهب ديكار   ت .. وديكارت فيلسوف شهير
وهو يدعو للشك في كل شيء   طالما ليس لليقين ظهور

وعدد الملك اشياء ، ثم قال :

انها فتنة ، وان صح هذا   فهو امر بالاعتبار جدير

ماذا افعل ؟. لقد دافعت عن استاذي طه حسين ، وانا عرضة لسؤال الملكين ، في الموقف الذي يذهل فيه المرء عن نفسه .. ولقد سرني ان وجدت هذه الابيات من الملحمة ، في الدفاع عن طه حسين في هذا الموقف بالذات .. لاني ابتليت في الحياة بقوم لا خلاق لهم ، على مدى سنوات طوال ، لم يكن همهم غير سرقة القصائد التي احيي فيها الاستاذ الذي كان له على نفسي اثر كبير ، منذ مطالع الشباب ، وحتى اليوم ، ولا ينكر الفضل لذويه الاجاحد .. ولذلك اجبت الملك على سؤاله :

قلت : مهلا .. فانما هو استا   ذي ، وانــي بفضله لخبير
انني عالم بما في الخفايا   والحديث الذي هناك يدور
ان طه لعالم عبقري   وهو ايضا اب جليل وقور
سيد فضله ينم عليه   واولو الفضل حاسدوهم كثير
انهم يحسدونه ، ولعمري   اعجب الناس خامل موتور
ليس يرجى للحاسدين شفاء   فهو داء به تموت الصدور
كيف يرجى اصلاح جيل اذا لم   ينتشر بين اهله التقدير
واذا انقادت النفوس الى الاهواء ، ساد الضعيف والمغرور
وجدير بنابغ الجيل ان تسجد شمس لعلمه ، وبدور
انما تبتغي العلوم جريئا   ترقى على يديه العصور

وهنا نصل الى آخر فصل كتبته في هذه الملحمة .. وقد انتهى فيه سؤال الملكين ، وجاء ذكر البعث ، والحساب .. وكان عنوانه « خروج الميت من القبر ، ومروره بالحوض ، والميزان ، وشاطىء الاعراف ، ثم دخوله الجنة قبيل غروب الشمس » :

ومضى الدهر .. ثم اقبل اسرا   فيل ، في كفه يلوح الصور
واقفا يملأ الفضاء كنسر   قد حكاه قديما الاسطور
نفخ البوق نفخة .. رجت الار   ض ، فزالت قلاعها والقصور
ولقد دكت الجبال الرواسي   ولقد بعثرت هناك القبور
وخرجنا من التراب جميعا   كلنا في خروجه مذعور
ومضينا الى الحساب سراعا   هكذا البعث مفزعا والنشور

ومضت الابيات تصف اهوال ذلك اليوم .. تنفطر السماء ، وتكور الشمس ، وتطوى السماء طي السجل ، وتكف الارض عن الدوران ، ويطفا ضوء النجوم ، وتطير منها الشظايا .. ثم تمر بي غيبوبة ، ما تفتأ ان تنقشع ، ويعم نور بعد ظلام .. فارى المنظر الرهيب ، واحقق ذلك كله بالعين :

لم تكن تسمع المسامع الا   همس شعب على الفلاة يسير
ولقد اخرجوا حفاة عراة   يبتغون الحساب وهو عسير
فيهم العرب والاعاجم والزنـ   ـج ، وخلق وراء ذاك كثير

ثم نصل الى الحوض ، والناس يزدحمون حوله :

فتيممت نحوهم ، ، فاذا السقاء شمس .. والقاصدون بدور
ثم اني دنوت منه فسلمت ، فتم الرضى ، وعم السرور
وسقاني من كاسه بشراب   مزجه الزنجبيل ، والكافور
ولقد طاب لي جلوس بمقهى الخلد .. والكاس بالشراب تفور

واكبر الظن اني تسرعت بالجلوس بهذا المقهى ، لانه كان ما يزال ينتظرني من الامور ما تشيب له الولدان .. لقد كان ما يزال هناك الميزان :

ثم اني مضيت في صحبة الاملاك ، والرعب في ركابي يسير
يمموا بي شطر الموازين توا   منهم سائق ، ومني اسير
وكاني وقد وضعت على الكفة   شيء مستحقر وصغير
ومن الحظ ان ثقلت كثيرا   فكاني لما وزنت تبير

الحمد لله .. لقد فرحت لذلك ، فتلكأت في المسير ، وشاقني حب الاستطلاع ان ارى شاطىء الاعراف :

فتيممت ساعة شاطىء الاعراف ، والعقل ذاهل مسحور
انه شاطىء يطل على بحرين .. هذا ماء ، وهذا سعير

ووصلت اخيرا الى الصراط :

وترادى الصراط غير بعيد   وهو كالسيف خاطف مشهور
لم اكد انتهي عليه الى الفر   دوس .. حتى اطمان مني الضمير

ووقف بي النظم عند هذا البيت الاخير ، الذي يحمل في ذاته براعة المقطع .. وان كانت الملحمة ذاتها لم تنته بعد .. بل لعلها قد بدأت فعلا في هذا الموضع .. اذا كانت ستحمل العنوان الذي وضعته لها وهو « ثورة في الفردوس » ..

على اني وجدت عنوانا لفصل جديد .. لم انظم فيه بيتا واحدا .. يقول : « كيف دخلت الجنة على نغمات الموسيقى » ؟.. لقد كان المفروض اذا ان تدور احداث الملحمة الجديدة ، في داخل الفردوس ، وقد وصلت اليه بحمد الله .. ولكن لماذا هي ثورة ؟ اذا كان القوم المنعمون قد وصلوا الى غاية ما يريدون من ربهم الرحيم ، الكريم .. فماذا يطلبون بعد ذلك ؟ اننا نفهم من الزهاوي ان يجمع الهالكين في الجحيم ، مناديا فيهم ، او على لسانهم بالثورة ، لانهم في عذاب ، مهما تكن وجهة نظرهم ، فهم يرجون الخلاص منه .. ولكن فكرة الثورة من المنعمين في الفردوس لا محل لها .. ولعل هذا هو السبب الحقيقي، الذي جعلني اتوقف في نظم الملحمة ، عند الحد الذي وصلت اليه .. فلم اجد فكرة الثورة في الفردوس مستساغة .. ولذلك انصرفت عن اتمام العمل كله .. وان بقي منه للادب انه عمل جرىء ، وانه محاولة شاب مبتدىء ، وان ما ذكرت منه هنا من ابيات تقارب المائة ، يدل على اصالة ، وقوة ، واستعداد طيب .. لم اجد له في ذلك الوقت المبكر مشجعا .. ولذلك قلت في بعض المواضع ، وانا اجيب الملك على سؤاله العويص :

انني قد قضيت عمري في البحث .. وفاض الانتاج وهو غزير
واذا لم اجد عليه جزاء   فكفاني ان يستريح الضمير

وهذه بحمد الله هي الغاية التي وصلت اليها ، في هذا العمل ، وفي غيره من الاعمال الاخرى ، في رحلة الحياة ..

مصر الجديدة   **عامر محمد بحيري**

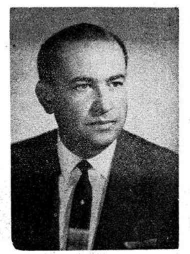
الـزورق التـائه

●

فـؤاد الخشـن

●

الشويفات ـ لبنـان



زورقـي
قد ضاع في الافق
وما في الافق زورق
وعلى الشاطىء
لا ضوء رجـاء
يتالـق !
زورقـي
قد تاه في يم ؟
من المجهول اعمق !
معتم الارجاء
صخـاب
غضوب المـوج
مطبـق !
ان رأى نجمـا
على افق رقيق الغيم
صفـق
وتعالـى ...
فوق امواج الاماني
وحلـق !
زورقـي
دعنا من الجنات
تبنـى ...
وتعلـق
في ذرى بابـل ...
دنيـا
حولها الاطياب تعبق !
هـو حلـم
من ضباب الوهم
منسوج
منمـق
ووعـود
من سراب خـادع
لـن تتحقق !

زورقـي
يـا نفسي الحيرى
ويـا وجدي المؤرق
ايظل التيه يمضي
بشراعيـك ...
لتفـرق

قصائد ايطالية لعيسى الناعوري

أخي البير

لعلك لا تعلم انني ، بين الحين والحين ، اكتب بعض القصائد الحرة باللغة الايطالية . حتى تجمعت لدي منها مجموعة لا باس بها . وقد بعثت بها اخيرا الى بعض الاصدقاء الايطاليين الشعراء ليتولوا نشرها لدى بعض ناشري شعرهم .

وفي هذه الايام ، وانا في المستشفى للمرة الثالثة ، خطر لي ان اترجم بعض هذه القصائد الى العربية وابعث بها اليك لتكون مفاجاة لقراء « الاديب » رغم ما يعرفونه من صلتي بالادب الايطالي .

اسم المجموعة الشعرية « غناء وعبير » ، وقد نظمت بعضها — كما ترى من القصائد الاولى في هذه المجموعة المترجمة — في فترات وجودي في المستشفى . وكلها — كما ترى — ذات مسحة انسانية ، غنائية ، وبعضها كان له أصل في بعض قصائدي العربية ، ولكنني اخترت اشياء منه واعدت كتابتها بأسلوب يناسب الشعر الايطالي ويختلف عن الاسلوب العربي . ولكن هذه القصائد قليلة جدا في المجموعة .

ارجو ان تتفضل بجعل هذه السطور مقدمة للمجموعة عند نشرها في « الاديب » .

ولك خالص الود واطيب التحية . المخلص

عيسى الناعوري

من مجموعته الشعرية « غناء وعبير »

Canto E Profumo

ترجمها المؤلف نفسه الى العربية

●

الطبيب

كلما نظرت الى عينيك ، ايها الطبيب
ورأيت الابتسامة المشرقة بين شفتيك
يثرى قلبي بالاطمئنان
وبالرضى .
ما بين شفتيك ،
يا رسول العناية الالهية
تقيم الحياة والموت .

وفي قلبي تبرعم من أجلك
ازاهير عطرة من الشكر والعرفان

الجراح

المشرط الحاد أمامك
ويدك بارعة ثابتة
والله في قلبك وضميرك
والى هذه جميعها
تستسلم دون خوف او تردد
خرافا بشرية للذبح
لكي تعبث تجريحا وتمزيقا
ووصلا وتقطيعا
في قلوبها وشرايينها
وفي كل جزء من اجسامها ،
ولكنها مطمئنة
الى ان معجزة حياة جديدة قوية
ستولد من غمرات الصراع مع الموت
بفضل مشرطك الحاد
ويدك البارعة الثابتة
والله الذي في قلبك وضميرك

الزنبقة

(الى ممرضة)

ايتها الزنبقة النقية
المتفتحة على ندى الفجر
والمتبسمة بأول أشعة الشمس
والقائمة بعبير عذب
يعطر نسمات الصباح الوليد
أراك فتشرق في قلبي ابتسامتك الحلوة
كأشعة الصباح الدافئة
ويملأ نفسي
اريجك الزنبقي الحبيب

فاليك ، ايتها الحلوة بين الزنابق النقية
تحية كعطر الزنابق التي انت شبيهة بها :
بلباس المرضة الناصع الذي ترتدين
وبقلبك العابق بالحب وبالحنان


عيسى الناعوري

الممرضة

أنت ، أيتها الممرضة
روح لطيفة موحية
وسر اللطف والحنان .
الى جانب الحبوب الطبية
والحقن
تمنحين ، بابتساماتك الحلوة
وبموسيقى كلماتك العذبة
لمسات الثقة والامل .
ان ابتسامتك العذبة
تبعث في النفس الغبطة
والطراوة النادية
وتعيد الى القلب الشباب

فراشات

فراشات ربيعية
من كل لون وفتنة
تضطجع وديعة ساكنة
في وجنتيك
وفي عينيك
يضحك الربيع
وترفرف اجنحة ذهبية
من الف فراشة

سيمفني ...

أنا فراشة
وزهرة عطرة ،
وفي قلبي
كل افراح الحب .

هذا الربيع البهيج
لله ما أحلاه !
ولله ما أجمله !
ولكن — يا للاسف !

عمر الربيع قصير دائما
ولا بد يوما من ان يمضي !

فتـاة

انني أغبطك أيتها الفتاة ،
فانت كزهرة الربيع
ليس للثلج اثر على راسك
ولا في قلبك الدافىء .
أما انا فاشعر في داخلي
بكل صقيع الثلوج
وأرى الهاوية الرهيبة
فاغرة شدقيها بشراهة
لكي تبتلعني في اعماقها

شيخوخة

اغتبطي يا صديقتي
فانت ما تزالين صبية وجميلة
فلماذا تشعرين بالشيخوخة والعزلة ؟
ما دمت قادرة على الحب
فانت في شباب دائم
وانت دائما زهرة
عابقة بأعذب الاريج

الثلـج

الثلج يفرش على الارض
غطاء ناصع البياض
كقلوب بريئـة
لآلاف الاطفال

أيها الثلج النقي ،
دفىء بحنـان
قلـوب الامهات
والشيوخ العجزة
والمرضى .
أمـا الاطفال
فـلا تكن لهم
غير وسيلة لهو بريئة

في الضجيـج

في سلام الصباح
يستيقظ
العـبير
وغنـاء الطيور
وتتفتح عيـون
الازهــار
وورود البساتين .
فيا للسلام ! ويا للطمانينة !

ثم يستيقظ بنو الانسان
لكـي يبدأوا
المعركة اليوميـة
للخبـز وللحيـاة
فيضيع كل شيء حالا
في الصخب والضجيج :
العبير
وغنـاء الطيور
وكذلك ـ للاسف ـ
السلام والطمانينة !

اذا كنت سعيدا

اذا كنت سعيدا
واذا ما نمت في نفسي ورود عطرة
واذا كنت في سلام
مع نفسي ومع الحياة
ففي داخلي فقط
أجد السلام والسعادة .

ولكنني حين اكون حزينا
وحين تنبت الاشواك في قلبي
واشعر بالاضطراب والعذاب
ففي خارج نفسي فقط
لا أجـد السلام
ولا الصلات الطيبة
ـ الصلات الحميمة والصادقة ـ
مع الحياة ومع الناس

أزهـار وبركات

من كان في وسعه ان يغرس
الاشجار الشائكة
ففي وسعه كذلك
ان يغرس حديقة ازهار
وورود عابقة الاريج

ومن كان في وسعه ان يلعن ويشتم
ففي وسعه كذلك ان يبارك
وان يولد البهجة
في حياة الآخرين .

فيا لسعادة ذلك الانسان
الذي ، بدلا من ان يغرس الاشواك
وبدلا من ان يلعن ويشتم ،
يغتبط بان يغرس
حدائق ازهار وورود
وان يبارك ، ويولد البهجة
في حياة الآخرين !

الدم والشرف

يقول شاعر عربي :
« ولا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم ! »

ترى ماذا يفيد الشرف
وماذا يفيد المجد
ان كان الدم الانساني
ـ الذي هـو الحياة ،
وهو الشرف ، والانسان نفسه ـ
يضيع هباء وهدرا ؟

ان لم يوجد الدم
لم يوجد الانسان نفسه
وعندئذ
لا يوجد حتى الشرف الرفيع
الذي يراد له ان يسلم من الاذى

هويـة

ماذا يفيد ان تكتب
على ورقة الهوية
جنسيات وقوميات مختلفة
ينتمي اليها الانسان ؟

ان لم يكن المرء أخـا
ان لم يكن مواطنا
لكـل انسان
على كل أرض
فليست ورقة هويته
سوى حاجز ،
فاصل ،
بين الانسان واخوته الآخرين !

فاذا كانت في الدنيا
رغبة حقيقية في السلام بين البشر :
السلام الذي لا يتزعزع
ولا ينقطع
فينبغي ان تكون
ورقة الهوية عامة :
لا تكتب عليها غير
عبارة عامة واحدة فقط :
« انسان ! »

عمان ـ الاردن عيسى الناعوري

انه عجوز ، عجوز جدا . تركت السنون آثارها العميقة في خديه .. اخاديد عميقة كالاثلام . نظر شحيح لا يرى الا بصعوبة ولا يسمع الا قليلا ... ومع ذلك فهو يعمل . هذا الشيخ الفاني . تلك الكتلة العظمية الواهنة ... يجر عربة خشبية ثقيلة بالنسبة لهيكله المتهدم. يجرها بصبر وهوادة . يدفعها بكل قواه فتمضي مرتجة متنقلة في ارجاء المدينة ... يقف على ابواب المحلات التجارية الكبرى ، وعلى ابواب المطاعم وفي كل مكان ، يعرض بضاعته على الناس ، كمية قليلة من البصل ، والبصل نوعان ، احمر وابيض . الاحمر بخمسة وعشرين قرشا ، والابيض بثلاثين .. يرد هكذا على كل من يتكلم او ينظر اليه انه لا يسمع ما يقولون ولا يهمه الا ان يبيع البصل ويعود الى البيت . انه متعب والتعب يدمر جسده ويترك العرق يتصبب غزيرا من خلال الاثلام العميقة المحفورة في وجنتيه.. بالامس احس بوجع في انحاء كثيرة من جسده ، لم يقو على النوم . قالت له زوجته هلم الى الطبيب ، ولكنه تحسس ما معه من نقود ، وما معه لا يكفي لشراء كيس البصل ، راسماله اليومي . اجابها بهدوء انه العصبي ، العصبي اللعين ، سخني لي بعض الماء اصنع مغطسا فأشفى ... وبالرغم من ذلك ظل يتلوى من الالم ويحلم ...

رزق من الدنيا ولدين لا غير . عمل على تربيتهما بصمت . حاول ان يكونا عونا له في الحياة .. الاول تطوع في الجيش ومات في حادث .. اما الثاني فتزوج وحرمته زوجته من اعانة والديه ... طلبت منه زوجته ان يذهب لرؤية ابنه وليأخذ منه بعض المال لتأمين راسمال العربة وثمن الدواء ... غير انه نظر اليها بغضب مرددا : الاولاد يا امراة ما نفع الاولاد ؟ قولي لي ما نفعهم ؟ الاولاد اما ان تأخذهم الحكومة ... او تأخذهم المراة ... الاولاد للشيطان وبح صوته .. وصرخ وبكى .. كان اشبه شيء بالطفل ، كان يبكي ... ثم عاد ونظر من النافذة عبر الشارع وهو يحس موجة عاتية من الالم تعصف به ، وبصق وتشبث بحديد النافذة ... ولعن المراة ولعن الحكومة ... وبالرغم من انه لم يقو على النوم ، وبالرغم من انه ظل ساهرا ينظر بيأس الى النجوم ... ويشتم الحياة والمراة والحكومة ... مع ذلك مضى جارا عربته الثقيلة باتجاه سوق الهال ... اشترى كيسين من البصل احدهما ابيض والآخر احمر ... فهل يا ترى سيتمكن من الحصول على اجرة الطبيب ؟؟؟



بقلم رياض نصور

عاد الى البيت ونادى زوجته فهبت للصوت ... واخذا ينتقيان الجيد من البصل لبعض الزبائن الممتازين كمحمود بائع الحمص وحسن بائع الفلافل وغيرهم ... اما الباقي فقد تصدر العربة المزهوة ...

دفعها العجوز بقوة يا الله عدة مرات ... العربة ثقيلة لم يشعر بثقلها كاليوم كأنها تحمل طونات من الحديد ... والعرق اللزج يتفصد



من جبينه مارا عبر الاثلام المنتشرة على صفحة وجهه الجعد مضمخة القميص الوحيد الذي يلبس صيف شتاء وهو من الجوخ السميك ... معتمرا عقاله الاسود الملفوف اتقاء للشمس والقميص والعقال ينضحان عرقا لزجا ... تخب قدمه بحذاء بال قديم رقع اكثر من مرة بانت اصابعه منه وحف اسفله فاصبح والارض والحفاء سواء ...

ومع ذلك فالعجوز يمضي ، والحر شديد وتموز يلهب العروق باوار قيظه اللاهب . لم يبع العجوز الا قليلا ... مر على الحواري والبيوت التي يعرف ... عرض على الناس بضاعته ... تحدث الى بائعي الحمص والفلافل ... الكل لاهون عنه . سوق البصل في كساد . والنهار يكاد ينتصف والحر شديد وجسده الضعيف لا يقو على الصمود . ومع هذا فالعجوز يمضي دافعا عربته معتمدا على الله ... سارحا في كفاحه الابدي من اجل القوت والحياة ... يتصارع والعجلة المتعبة عندما يعلو بهما الطريق ... ويتكمش بها خوفا عندما تنحدر بهما الطريق ... فهو والعربة رفيقان صنوان منذ زمن بعيد ... بالامس كان يستطيع ان يقطع بها المرتفعات بسهولة ويسر ... وكان يبيع كثيرا ، ربى ولديه ، اسبغ عليهما الحب والعطف ، كان يعطيهما كل ما يطلبان . كان يربح كثيرا ، اما الآن فهو يزحف عبر شوارع المدينة منذ الصباح الباكر ، ومع ذلك ما تزال عربته مليئة بالبصل ... لم يبع شيئا يذكر ، ما يزال الحمل ثقيلا ... وما يزال الحر شديدا والعرق يتفصد من جسده الكليل المتعب . الشمس تتوسط السماء ... انه لا يستطيع النظر الى فوق . تعود عيناه مدماة .. الشمس قذرة تتعبه ، الشمس كالمراة والحكومة ... لعن الله

الشمس والمراة والحكومة .

ويقف في شارعهنانو الكبير ليأخذ نفسا عميقا بعد الكد والتعب . هذا الشارع اصبح خطرا بالنسبة اليه ... رجال الحكومة يمنعون البائعين المتجولين من المرور عبر هذا الشارع الكبير ... ولكن ما شأنهم به وهو يمر عابرا الشارع في طريقه الى البازار ، عسى ان يتمكن من بيع بضاعته هناك ...

ـ بصل يا بصل !...

ينادي بصوته الابح ولا مجيب والشمس ما تزال ترسل بشواظ اشعتها الملتهبة فوق راسه المثقل .

ومع ذلك فالعجوز يمضي مناديا :

ـ بصل ... يا بصل !...

ترى الى ايـن ؟ ماذا يفعل ؟

استحوز عليه الالم . تنهد بصمت. فكر بهدوء . فتح على صدره العظمي الضعيف ... بسمل ، استشهد ... وعاد يدفع عربته بتعب . لكنه توقف .. فالشاري حضر ... واخذ ينتقي مراده من البصل المتناثر فوق العربة ... والعجوز ينظر فيما حوله مخافة رجال الحكومة . ولكنه يخفي ميزانه داخل العربة فرجال الحكومة يصادرون الميزان وعندما يذهب لاحضاره يدفع الغرامة . اذا فما عليه الا ان يخبىء الميزان داخل العربة ، وفي حرز امين وهكذا عندما انتهى الشاري من انتقاء البصل ، تلفت العجوز حوله ، واذ لم ير احدا ، مد يده المعروقة الواهية الى داخل العربة واخرج الميزان الآمن ووزن اربعة كيلو من البصل حملها للشاري ومضى معه لاحضار الثمن .

كانت العربة العجوز وحيدة بجانب الرصيف وعليها بضاعتها الغالية ، والميزان الخارج للتو من مخبئه ... عندما وقفت سيارة الحكومة الكبيرة وبداخلها سيادة العريف بمهابته وحسن بزته ، مع بعض المعاونين من عمال الحكومة الافذاذ ... كان سيادته غاضبا تخرج كلماته متسابقة سريعة غاضبة ... من هو هذا اللص الذي يخالف اوامر الحكومة ؟... احجزوا العربة حالا !! ممنوع الوقوف في الطريق العام . وينزل من السيارة رجلان يدفعان العربة . العجوز لدى عودة صاحبها بعد قبض ثمن البصل المباع ، وكان كالمجنون ، ينظر الى السارقين بعينين والهتين ، متكمشا بعربته العزيزة الغالية يشدها بيديه الكليلتين ليخلصها من قبضتيهما الشريرتين . كانا يرفعانها والبصل يهوي من داخلها متبعثرا عبر الشارع الكبير ... والميزان يهوي فيتمسك به العجوز كما يتمسك البحار بأية قطعة من قطع سفينته التي عصفت بها الانواء . يأخذ ميزانه بيد واليد الاخرى ما تزال تتشبث بطرف العربة والبصل يتساقط في الشارع العامر بالناس.

الناس ينظرون ، يضحكون ، مشهد من مشاهد الحياة ، سخرية الحياة. سيارة الشرطة ادت واجبها ... انها تمضي بعربة العجوز ... بعض الناس أحضروا كيسا اخذوا يجمعون به البصل المتناثر ... والبعض الآخر ازداد ضحكه وعبسه والعجوز يحمل كيس البصل الكبير على ظهره وباليد الاخرى يحمل ميزانه بلا كفتين ... الحمل ثقيل والرجل عجوز والحر شديد ، والشمس تتوسط السماء ، والشارع حافل بالناس ، والموضوع موضوع شائك وهو يقع بين حجري رحى ... كان له ولدان واحد اخذته الحكومة والثاني اخذته المراة ... وزوجته ستسأله عن العربة ، وستأكل راسه والحكومة اخذت العربة ، لماذا اخذت العربة ؟...

الحمل ثقيل ... انه يكاد يهوي بحمله الثقيل ... ولكنه يدور بعينيه المتعبتين فيما حوله سائلا بمرارة :

ـ ايها الناس بربكم قولوا لي الى اين اذهب ؟

الناس صامتون ضاحكون من حوله ، فيمضي بحمله الثقيل والحر لاهب ، والطريق طويل طويل دون ان يدري الى اين يذهب ؟...

اللاذقية **رياض نصور**

عودة الحب

تعاودني لهـواك الشجـون — وأهفـو الـى نـاره العاتيه
فيصرخ بـي هاتف موجـع — أعـدت لهـا مـرة ثانيه
أعدت وعادت ليالـي الشقـاء — تسربـل أعراقـك الذاويـه
فاسخر من عارمات الجراح — وأهـزأ بالامـع الهاميه
وهل أتناسى الغرام العنيف — ومـلء دمـاي رؤى فانيه
ومـلء كيانـي شعور رهيف — يحلـق بـي لدنـا عاليـه
أسمراء.. يا سحر هذا الربيع — ويا نشوة الكـرم والداليه
تعالـي الـي فانت الحياة — وأنـت ترانيمـي الباقيـه

بغداد **عبد الخالق فريد**

سبيل المجد

فائق جبور

●

يا رب حلمك قد اضعت رجائي وفقدت من هول المصاب عزائي
ووأدت احلامي وطيب تهللي بين الانام ولذتي وهنائي
ومضيت لا الوي على امل اذا عصف الشقاء يبيد بعض شقائي
امشي ولا ادري ادربي للردى بعد الكريهة ام الى الرمضاء
كلتاهما حال الذين تنكبت بهم المنى في الليلة السوداء
هي ليلة نسج الدمار نقابها ورمى عليها الغدر شر غطاء
هي نكبة ما ان عرفت مصيرها الا وناب عن الحديث بكائي
فبكيت احلامي بكاء مودع اشقاه بين الناس طول ثواء
حتى عشي بصري على كانما القى عليه الحزن الف غشاء
قد كف عن نظر وذاكي لا يرى فعل الردى بالفتية النجباء
فنحرت امالي بمدية ناقم متفجع للنكسة الخرقاء
هي نكسة غمرت فؤادي بالاسى ومضت بسعدي وانطوت بصفائي

قد كنت ارغب بالحياة لكي ارى وطني طليق مساوىء وعداء
وارى الديار وقد خلت عرصاتها من آل يهوا ، طغمة السفهاء
وارى الشباب وقد ترنح عطفه جذلا يجر مطارف الخيلاء
واللاجىء المحزون عاد لارضه وطن النبوة بعد مر تناء
كم مثل هذا الحلم مر مداعبا نفسي ليخمد من شديد عنائي
فمضى الزمان ونحن بين محبب ومشجب للغارة الشعواء
اما وقد بلغ العتو اشده بين الانام وما بلغت رجائي
والقلب قد فقد الهناء ولم تعد تقوى الحياة على الضنى حوبائي
فليعصف الزمن الزنيم بما جنت ايامه السوداء من كأداء
ما ان تلك بلية بل وصمة غمرت جباه العرب بالاخزاء

يا خيبة الامل العثير يثيرها نبأ الخنى بالفعلة النكراء
مذ ردد الاهلون وقع مصابهم ما ان عرفت تنفس الصعداء
عبثت بهم ريح المنون ونالهم تحت الدجى نوء من الانواء
فمضيت انظر لا ارى في ذا الورى لي من عزاء ثم ام تأساء

قدر عسير قد دهي أهلي فوا — أسفي ايحسن في الحياة بقائي
ما كنت من يرضى السكوت وانما — عقلت لساني حدة الانباء
حتى ولا احسنت قافية وبي — خذل ينوء بعزتي وابائي

اهلي واين هم وكيف تقلصت — احلامهم عبر الزمان النائي
صحبي واين مضوا وكيف تناثرت — اشلاؤهم مزعا على الغبراء
ملهى الصبا قد بات بعد نزوحهم — واهي الصفوف مقطع الاجزاء
يبكي الالى فقد الصحاب بفقدهم — خير الشباب واخلص الخلصاء
ووددت لو ان الزمان اقالنا — عثرات تلك النكبة النكباء
او ان دولاب الحوادث ما اتى — يوما بتلك الوصمة الشنعاء
انا لا الوم على المصاب ابالسا — زرعوا المصائب تحت كل سماء
تخذوا الغواية للنساء مشيئة — وبغى الشباب سجية الابناء
ومضوا على ضلل يبدد شملهم — غضب المسيح ولعنة العذراء

اين الرجال واين ما وعدت به — دنيا البطولة من جميل وفاء
ايـن الذي عرف الزمان بلاءه — ليقي العروبة شر كل بلاء
وروت به الاحداث خير مؤدب — ومهذب في السلم والهيجاء
ما كان اجرأ منه يوم كريهة — كلا وما له ثم من نظراء
قد جاد بالغالي الثمين لكي يرى — وطن العروبة منعما برخاء
بطل اذا ولي الزمام اراك في — الباساء غرما ما مني بعياء
هو في الخواطر كلما ذكرت به — أسد الشام ومصرع الشهداء
من مثل يوسف للخطوب اذا دجا — ليل الردى في الوقعة الحمراء
يمشي على حد الحسام اذا دعا — داعي العلى في الليلة الليلاء
ويغير ان حان الثبور بفتية — نجباء تقطع دابر الغوغاء
ان يدعهم لبوا الدعاء وان قضوا — لقضوا فدى وطن لهم ولواء
فالشام مسبعة الالى مهروا العلى — يوم الوغى بالهمة القعساء
هي مرتع الصيد الاباة ومن بنوا — للمجد صرحا كان ثبت بناء
ان كنت في ريب فدونك هضبة — بين الرمال شذية الانداء
رقدت بها ابطال جلق بعدما — ادت حقوق المجد خير اداء
هل ثم من عظة تثير اباءنا — عبر السنين ولات حين اباء
فنعيدها عرباء حامية اللظى — حرى تقد اضالع الخصماء
حربا تبدد بالشنار جموعهم — وترد من عقبوا الى الدأماء
هذا سبيل المجد فلنسلكه ان — نرم الفداة تسنم العلياء

خوخوي ـ الارجنتين — فائق جبور



الدكتور عبد السلام العجيلي

اشواق الانسان .. ومذاق النعل !

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

من منكم وضع النعل بين فكيه ، ولاكه باسنانه ، وذاق طعمه ؟.. معذرة ايها السادة .. فانا لا اجرح شعوركم بهذا السؤال ، ولا ابغي نوعا من السخرية الثقيلة او المزاح المجوج .. بل اني ما وجهت هذا السؤال الا لاثير خيالكم مع الانسان .. أي انسان على ظهر البسيطة . قد يكون هذا الانسان افريقيا او امريكيا او اوروبيا . ولكني واثق تماما ان ذهنكم — في البدء — سوف ينصرف بالضرورة الى انساننا العربي في هذه الرقعة العريضة الممتدة من الخليج الى المحيط .

والتأمل في مكونات انساننا العربي ضرورة لا بد منها حيث كتب عليه ان يحيا الزمان في قسوة ، ويعايش المكان في معاناة ، ثم يكد ويشقى وفي النهاية يصل مشدودا بالفكر والوعي الى .. الانتظار .. انتظار شيء ما يفتح عليه قلبه وروحه .. ومن خلال هذا الانتظار صار انساننا العربي انموذجا للانسان المعلق الذي لا يحيا ولا يموت ، واصبح ظاهرة فريدة في نوعها ووجودها .. يعيش على الالم ويتعذب بالشقاء ومنذ فجر حياته وهو يعيش وحده ويكافح وحده لا يشاركه في احزانه احد ، ولا يفرح بسرائه احد .. وكان بما يملكه من طاقات متفجرة وثروات كامنة منبها للغير ، ومثارا لاطماع الوافد ، والعابر والمستوطن ، وكان مجالا خصبا لتسود فيه الوان شتى من الحيوات والسلوك ، والتناقضات التي حملها هذا الغير معه ، مما اوصله الى العصر الحاضر فريدا في نوعه ووجوده ومأساته !

ولا تظنوا أيها السادة اني امارس معكم قضية تاريخية او فلسفية .. فلست فيلسوفا او مؤرخا ، وانما ادعوكم لتقفوا معي لحظة على واقع الانسان العربي الذي هو نحن او نحن هو .. ثم نتساءل : ماذا عن الغد؟ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على من اساء الينا قريبا او بعيدا .. فقد بلغت المأساة حدا من الهوان يبكي ويضحك في آن واحد ، وهي مأساة لم يصل اليها احد من العالمين من مشارق الارض ومغاربها ، ولم يكتو بنارها شعب مثلما اكتوى شعبنا (انساننا) العربي الصبور .!

وتساؤلنا عن الواقع الآتي ضرورة يفرضها الاحساس بطبيعة المأساة .. فقد تواصى عدونا على التساؤل دوما والاستفهام ابدا عن ايامه وايامنا وواقعه وواقعنا مما اعطاه القدرة على مواصلة الكيد لنا والتحرش بنا وافتراسنا وقتما نريد ..

ثم .. من منا يسأل الآخر انا ام انت ؟ لعلي ارى ان كلامنا سائل ومسؤول ، قاتل ومقتول ، فنحن المأساة والمؤاساة ، ونحن السم والترياق ، ونحن التاريخ المشحون والمستقبل المخبوء .. نحن الخوف والامن .. نحن الزمان والمكان .. نحن كل شيء .. نحن العرب ..

معذرة يا سادة مرة اخرى فقد نسيت ذاتي وانا بصدد الحديث عن « مذاق النعل » قصة الكاتب السوري الممتاز د. عبد السلام العجيلي .. وهي واحدة من قصص خمس تضمها مجموعته الاخيرة « فارس مدينة القنطرة » والتي ضمنها اشواق الانسان العربي المعاصر تجاه واقعه ونحو مستقبله .

والدكتور العجيلي كاتب تمرس بالتجربة الحياتية في دنيا العرب وخبرها عن قرب وعايشها انسانا عاديا وممثلا للناس العاديين في مجلس النواب ثم وزيرا للخارجية في بلده ، واخيرا عاد انسانا عاديا يمارس مهنة الطب ويقرأ ويكتب ويعبر عما يشعر به تجاه وطنه وتجاه امته .

وهو كاتب ناضج الفكرة ، ثاقب النظرة ، اصيل الموهبة في غير ادعاء ، منتميا لذاته العربية وتراثها العريق بلا تعصب او جمود .. سائحا بأشواقه الى آفاق العالم الرحبة من حوله دون ان يذوب او يتوه . وحسبك من كاتب يضم هذه الاشياء في تكوينه الذهني ومزاجه الفكري

ليكون جديرا بالاحترام والتقدير .. منا ومن غيرنا على السواء ..

ويتميز الدكتور العجيلي عن غيره من الكتاب والقصصيين العرب بالجراة والمصارحة ، فهو لا يهاب سوى ضميره ، ومن ثم يعبر في وضوح فني أصيل ، ولا يلجأ الى المداورة او المناورة او البين بين خوفا وهلعا .. انه يعبر في صفاء وثقة عن افكاره التي تؤرقه ، وهمومه التي تلسعه بحريقها المتوهج ، وآماله التي يحلم بها للانسان العربي في وطنه الكبير .. وللانسان في اي مكان من الارض .

وهناك بعض الفنانين ممن تعمى بصيرتهم فلا ينفذون الى اعماق الانسان الذي حولهم ، ومن ثم يفشلون في التعبير عن قضية هذا الانسان سواء كانت معتمة او مشرقة او ملونة بأي لون من الالوان . ولذا فانهم يعجزون عن اداء الدور الاساسي والمفروض ان يعطوه لمن حولهم من المتلقين .. وعجز الفنان موت شنيع لانه موت بطيء ، وهو اقسى بالطبيعة من اي موت فجائي او عادي .

بيد ان الفنان الذي يستكشف ببصيرته اعماق النفس الانسانية وينظر في قيعانها المحجبة ويرى ما يختلج على ارضيتها المضطرمة من صراع ، ثم يبني احلامه وآماله ، ويعبر عن اشجانه وهمومه لهو فنان عظيم حقا .

والدكتور العجيلي فنان عظيم حقا في كل ما كتب ، وتستطيع ان تشعر بذلك في وضوح وانت تقف امام فارس مدينة القنطرة بقصصها الخمس لانك ترى الانسان العربي في ايامه الراهنة ممزقا على جدران الفرقة والاضطهاد والقهر والمعاناة والحرمان والاسى القديم .

واعتقد ان « مذاق النعل » افضل ما جاء في هذه المجموعة .. فهي تعبر عن العلاقة بين الانسان العربي وقوى القهر التي تصفده في قيودها وتغله باغلالها وتمنعه من ممارسة ايامه حرا طليقا ومبدعا . انها صورة الشوق السامي الى الحياة الفضفاضة بلا قيود ولا قسوة ولا ممارسة للعنف ضد بعضنا البعض .. انها اشواق تترفع عن واقع مليء بالخطايا .. تأمل هذه الصورة :

« .. انا ضيف الشيخ هنا ، ولعله ليس من حقي ان اقول ما اقوله الآن ولكنني لا استطيع ان اتجاهل ما رأيته اليوم في الظهيرة في الارض العراء التي تشويها الشمس دون ظلة تقي المسجونين المقيدين فيها . رأيت ستة سجناء مطروحين ارضا ، الواحد بحذاء الآخر ، واعناق اقدامهم مصفوفة على جذع شجرة طويلة مقطوع ، به بعض الانحناء ، في نهايته يمر سيخ من حديد كوتر على قوس الجذع . هل رأيت ذلك السيخ ؟ سيخ صدىء به بقع جافة من دم وصديد يحبس ارجل السجناء بينه وبين جذع الشجرة فلا ينفلت احدهم او يتحرك حركة الا ويأكل السيخ من جلده ولحمه » ص ٤٩ — ٥٠ .

انها صورة مقززة حقا لنوع من القسوة يمارسه شيخ من مشيخته وهي صورة بدائية وكريهة اعتبرها راوي القصة اعتداء على الكرامة الانسانية واهدارا لحقوق الانسان وحرياته .. وهي حقا كذلك من وجهة النظر الانسانية والآدمية التي تنزع الحيوان من داخلها وتتنزه عن الشراسة البشرية ونوازعها الشريرة .

ان راوي القصة القادم من بلد عربي آخر اكثر تمدينا وتحضرا تسوءه هذه الصورة التي رآها لسجناء المشيخة بيد انه يفاجأ بصورة اكثر ضراوة وعنفا حين يلتقي بمحدثه في هدأة الليل فيسمع منه قصته المثيرة والحزينة والتي كان بطلها الرئيسي وجرت عليه مراسيم عذاب رهيب !

« .. من تلك الاثناء فتح الباب فلمحت بين اجفاني المثقلة رئيس الجلادين ، الرجل ذا القميص الداخلي المبقع ورائحة التبغ الرخيص ، يدخل . سمعته يتساءل: هل اخذ نصيبه ؟ فكان جواب رجاله قهقهات لئيمة والفاظ سباب تعنيني واقوال لم تثبتها اذناي اللتان كانتا تطنان طنا غريبا فوق ارضية من ضجة مكبرات الصوت التي كانت تتسلل الى الغرفة عبر الباب المغلق . ورأيته يضحك وهو يشير بيده الى شيء كان معلقا على الجدار ... » ص ٦٢ — ٦٣ .

ولا نحسب هذه الصورة من القهر الا بلورة لفلسفة الالم واللذة التي استشعرها البطل :

« ترى ما عدد الالوان التي يعرفها الانسان للذة ؟ لا اظن هذا العدد كبيرا واحسبه لا يتجاوز عدد اليدين . اما الالم فان الوانه على ما اعتقد تفوق الحصر » ص ٦٤ .

وهو تصوير نبع من التجربة التي يمر بها البطل ويعانيها وينسحق تحت وطأتها راصدا اقسى ما يتعرض له الانسان وانسانيته من عسف .

« .. ولكن يبدو ان صرختي كانت من القوة بحيث ازعجت اولئك الزبانية فقد مد ذلك الجاثم على ذراعي اليمنى يدي الى احدى فردتي الحذاء الذي كان ملقى بجانبي على الارض ، وليسكتني حشا بهما فمي ..

تصور .. ذلك الحذاء في فمي ! لعلني قادر على ان انسى كل ما مر بي من عذاب ومهانة في ذلك اليوم وفي ايام غيره وكل شعور سعيد او شقي مر في سني عمري كلها ، ولست قادرا على نسيان مذاق النعل في فمي ! » ص ٦٥ .

اي حياة يحياها الانسان كريمة وسط هذه الالوان من الشقاء ؟ واي عذاب يفرضه الانسان العربي على اخيه الانسان العربي ؟

ومن عجب انه يتفنن في هذا العذاب وذلك الشقاء وفق ما وصلت اليه ثقافته وادراكه الحضاري لما حوله من اشياء ومعالم ووسائل تمكنه من ممارسة القهر والارهاب دون رادع اخلاقي او وازع انساني !

لقد اصبح من المؤكد — وكان يجب — ان توجه هذه

الطاقة من الشراسة والعربدة الى العدو المشترك بالدرجة الاولى .. فهو الطرف الذي لا يتورع بتاتا عن ممارسة الشراسة والقهر بصورة ابشع واقوى ، ليس ضد بعضنا فقط ، ولكن ضد الجميع .. السيء والطيب، والطالح والصالح وينزل عقابه بلا تفرقة بين هذا او ذاك بل الكل عنده يستحق الرجم حتى الموت !

ووجود هذه الظاهرة في المجتمع العربي مخالفة صريحة للقيم التي سادت فيه زمنا ويحب ان تسود دواما ، واقصد قيمة عربية بالذات كانت سائدة وشائعة بين السلف الطيب وهي التعاطف والتراحم فيما بينهم ، واخذ العدو بالشدة والقسوة لرد عدوانه وبغيه عليهم . وقد تأصلت هذه القيمة العظيمة عندما جاء القرآن الكريم ذاكرا اياها في سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ، ورضوانا ... » (١)

ولا يخالطني شك ان الكاتب قصد الى هذا المعنى القيم حين تلفت حوله في مجتمعه المريض ولم يجد له اثرا ، بل وجد عكس هذا المعنى القيم سائدا ومعربدا بصورة مثيرة للتقزز والسخط والسخرية في آن واحد . ونستطيع ان نلاحظ ذلك في قصته « نبوءات الشيخ سليمان » حين يقول على لسان البطل :

« .. ولا اكتمكم انني ندمت حينذاك وقلت لنفسي ان العنف يجب ان نحتفظ به لاعدائنا . اما بنو قومنا فان الضال منهم عن الطريق له اسلوب آخر في رده الى الصواب ، مهما كان صفيق الوجه دنيء الطباع ... » ص ١١٩ .

وهي رؤية متطورة ومتقدمة عند كاتبنا تجعله صاحب فكر وفن معا ، على العكس من غيره من الكتاب الذين يجيدون مصنع القضايا التافهة والرؤى العاجزة وقد ينجحون في ابداعها او لا ينجحون .

ولعل ذلك يرجع الى التزام الكاتب بقضايا الوطن ، والمعاناة في البحث عن تشخيص لامراضه .. ومن ثم فانه يجد في الملاحقة والمحاصرة اسبابا للتخلف والجمود دون ان يخطب فينا بما يريد .. ثم يستقدم كلماته الفنانة لايصال المعنى المتخلق في داخله الى اعماق المتلقي بلا صعوبات تؤثر على الخلق الادبي او التكوين الابداعي .

انه ملتزم دون ان يقدم (مانيفستو) مطولا يمتلىء بالشعارات والخطب الجماهيرية والمصطلحات الايديولوجية التي تقصف عمر العمل الادبي وتعصف بالابداع الفني وتئد الكلمة في مهد صباها الاخضر .

لقد عبر عن ازمة الواقع العربي من وجهة نظره – وهي وجهة نظر صحيحة وصائبة في راينا كذلك – حين راى الازمة الروحية تلوح في الافق بوجهها القبيح عبر أوروبا حين تخلت عن المبادىء والقيم الانسانية السمحة، وتركت الاصول العليا للاديان واندفعت في وهدة المادية الباردة والميكانيكية المظلمة .. وراى الكاتب ان الامة العربية قد تاثرت بهذه الازمة الروحية واصيبت بتأثيراتها ايما اصابة خلال موجات الغزو الاستعماري المختلف ومنطقه المادي الشرس ، وقد ضمن الكاتب رؤيته هذه بصور عامة في قصته المطولة « رصيف العذراء السوداء » (٢) حيث استلهم فيها ذكريات الامس الغابر في الفردوس المفقود بالاندلس ..

بيد انه اليوم يعيد ذاته اكثر تفصيلا ويتناول الاندلس ليفرغ شحنة انفعالاته واحلامه واشجانه وآماله تجاه الواقع الآني على ارضنا العربية التي تمزقها الاحن وتفترسها المحن .. محنة بعد محنة تغدو تروح .. وتتوزع بلادنا بالفرقة والضياع والتيه ، وتنظر في مجاهل المستقبل علامة تنتشلها من حضيض الهاوية المعتمة الى عالم النور والمعرفة والحركة الطليقة .

وكانت كارثة الخامس من يونيه حزيران ١٩٦٧ افظع ما ذاق الوجدان الفني المعاصر والح عليه باستمرار وديمومة ، واخذ بعقله وفكره للبحث الدائب والتأمل النشط في جوانب هذه المأساة والحلول الممكنة والمأمولة.. وقد امسكت هذه المأساة – ايضا – بزمام العقل الباطن والشعور الواعي للدكتور العجيلي فاستلهم الاندلس من جديد وهي في محنتها الاخيرة والتي اودت بالوجود الاسلامي هنالك الى هزيمة مشابهة للخامس من حزيران ١٩٦٧ . وقد اخذ الدكتور العجيلي يحكي عن المأساة ببساطة متناهية ويدخل الى موضوع القصة دون ان يكدر صفو القارىء او يضايقه في التواءات رمزية او ضبابيات غامضة كما يحدث في كثير من القصص التي ترفع لواء الرمزية المعتمة في الآونة الاخيرة . والقصة هنا رمزية ولكنها تتخذ الجانب المضيء لا المعتم وتدخل الى واقعنا دون ان يشك القارىء في ان ما يقرؤه لا ينتمي الى واقعه او وجدانه المشحون . ويعترف الدكتور العجيلي في البداية ان ما يجده القارىء في هذه القصة مجرد تنسيق وتمحيص لمخطوطة قديمة جدا – وهذا الاعتراف ذكاء فني قد يفوت على الكثيرين – ثم يمضي في سرد قصته على نسق ما زعم انه مخطوطة تبعث في زمننا هذا وتحكي القصة مرحلة من مراحل الدفاع التي قام بها المسلمون لمواجهة « الاشبان » الاسبان وهم يزحفون لقهر العرب واخراجهم نهائيا من ارض الاندلس . وكان العرب يدافعون عن مدينة القنطرة ، وهي واحدة من المدن الهامة التي تمركز فيها المسلمون للدفاع الواهن ، ولا ندري – كما يقول المؤلف – اي قنطرة هي فهناك اكثر من قنطرة في بلاد الاندلس – كما ان فيها اكثر من « طيبة » . والحق انني ظننت القنطرة حين لمحتها على غلاف الكتاب مدينة القنيطرة السورية التي يحتلها الاسرائيليون في هضبة الجولان منذ حزيران ١٩٦٧ .

ويظهر لنا من خلال الصراع ان العرب منقسمون على ذواتهم . فهناك من يمالىء العدو ويعمل لحسابه ويتولى زعامة العرب وقيادتهم ايضا – ابن سعران . وهناك من يعمل مخلصا للدفاع والجهاد « المهلهل بن سلام » . وهناك جواسيس العدو ذوو التأثير القوي

والنفوذ المتزايد ونحسبهم احبابا خلصا « سيبيلية » وقد كان يحبها « المهلهل » ويحسبها وفية بينما هي جاسوسة مخلصة لحساب اهلها الاشبان وباذلة نفسها في سبيلهم . وهناك من يجاهد بالكلمة لانه لا يملك سواها سلاحا قويا وفعالا .. « كابن حفص » وهو من الفقهاء المخلصين والعلماء المستنيرين ، وكأن الكاتب يرمز به الى مثقفي هذا الزمان ودورهم كما يراه وينبغي لهم . وهناك غير هؤلاء من يملك ايمانا وعقيدة . ومن يعيش بلا هوية ومن يبحث عن ذاته ونفسه فقط .. نماذج شتى لها مثيلها في ايامنا – وهي توضح فسادا قائما اثار الحزن والاسى وانتهى بهزيمة سوداء ابكت العيون ومزقت القلوب واورثت من الهم والكدر ما لا تحمله الجبال . وها نحن نرى جانبا من الصورة المحزنة :

« قال ابو بكر : وما يقعدك عن الجهاد في سبيل الله يا ابن سلام ، هل يحول بغضك لابن ساعر دون ان تحمل سيفك وتركب فرسك وتذب عن دينك ودارك . وفارقنا. فالتفت الي المهلهل وقال : يا نعمان ان ابن ساعر فاسق لا يصح له جهاد ولو أخلص النية . فكيف وانا على مثل اليقين من انه لا يخلص النية . فكيف وانا على مثل اليقين من انه لا يخلص النية بل يرى ان يذبحنا واولادنا لتخلص له البلد » ص ١٢ .

ويعبر هذا الجانب من الصورة عن مشهد آخر لموقف العلماء المستنيرين الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا يكتفون باصدار صكوك الغفران والرضا التماسا للراحة وايثارا للعافية دون نظر الى حاجات المسلمين :

« فألقى ابن حفص عمامته على الارض وصاح : يا ابن عمرون ، ونسيت قولي لك لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وتعلم انه ما من معصية اجل مما اقدم عليه سيدك . ولعلك تطمع ان تظل نائبه ، ويطمع سيدك ان يظل اميرا . ابشرك بالبوار والفقر والقتل . من يأتمنك بعد ان خنت اهلك يا ابن عمرون . وأبشر ابن ساعر بأن ملكه قصير .. العمر » ص ٣٢ .

أي صورة من صور المواجهة هذه ؟ أنها صورة مشرقة لشرف العلم في زمنه وفي كل زمان يرسمها العلماء بدمائهم قبل ان يخططوها .. بأفكارهم وعقولهم . وقد يكون المثقفون بديلا في زمننا عن علماء الفقه والشريعة في الزمن الماضي بيد ان مثقفينا لم يستطيعوا او يتمكنوا من اداء هذا الدور القديم لاسباب متعددة ولعل الكاتب الالماني برتولد بريخت كان يعني ذلك بقوله « هنالك شيء في عالمكم ايها النيرون غلط » (٣) . واعتقد ان الدكتور العجيلي كان يعني مثقفينا ايضا عندما وضع ابن حفص تجاه قدره ثائرا ورافضا وايجابيا ايضا .

ومن خلال هذه القصة « فارس مدينة القنيطرة » يرصد الكاتب كل عوامل الفشل والغفلة والعمى التي صاحبت مسيرتنا منذ غربت شمس الاندلس في يوم حزين لم يكن اكثر حزنا منه الا الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وهذا نموذج يوضح مدى الغفلة المتفشية والفكر المتخلف والبصيرة العمياء التي نعايشها ونواجه بها من حولنا مع الفارق الزمني بيننا وبين الاندلسيين ، وبين الاسرائيليين والاسبان : « وتحدث المهلهل وسيبيلية بحديث كنت به كالاكمة تفتحت عيناه بغتة على النور فراى ما لم يكن يرى او يعلم ان يراه . فيا لبؤس هذه الامة ، ويا لعميها كيف اسلمت عنقها الى جازرها ووضعت في يده السيف الذي به ذبحها » ص ٣٦ .

بيد ان الصورة على قتامتها لا تخفى بصيصا من الضوء يذكي في النفس شعورا بالثقة في الله والمستقبل وقد قام به من يحمل شرف العلم والفكر وامانة العقل والنقل واعني به ابن « حفص » الذي قام بدور الباعث الروحي لامة كادت تتحول الى بقايا رماد تخلفه نيران اليأس والهزيمة . يحكي ابن حفص خلال سرده للمآسي الحزينة التي شهدها للهزيمة المروعة :

« قلت فاني على علتي وضعفي لاقومن غدا في المسجد الجامع بعد الصلاة فاعرف الناس بما جرى واحذرهم من المقبل . قال ابو مرداس (٤) وانصحك بالا تفعل انك لا تدري ما بالقوم من عمى ، كأن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يفعلون . قلت والله لافعلن ولو كان فيها نفسي ، واحسست من غيظي بالقشعريرة تأخذ اطرافي وعاودتني الحمى ، فلم افق الا عند الغروب ، واني الآن في خير .. واني غدا لفاعلها . » ص ٤١ .

ان الشيخ ابن حفص صورة للتفاؤل رغم المحنة ، وزهرة امل خلال المأساة ، ونجمة فجر في ليل طويل . لانه يقاوم رغم العلة ويجاهد رغم الضعف ويسعى حثيثا ودائبا لتنفيذ ما اعتزمه وما اعتقده ، وبعد هذا كله يأمل في الغد ..

لقد نجح الكاتب في ان يستوعب المأساة في الواقع الراهن من خلال صورتها العامة ، دون ان تسيطر عليه اوهام اليأس الذي شل حركة كثير من كتابنا ، فاكتفوا بالحديث عن اشجان غامضة واحداث باهتة ، ومعالم خافتة او مظلمة لا نرى منها شيئا يبشر بأمل او يرصد في صدق او يحدث في اخلاص . وكاتبنا في تشخيصه للمأساة وعلاجها يحث – على رفض هذا الواقع المهين بكل ابعاده السيئة وملامحه القذرة ورائحته المنتنة ، لنصنع على ارضنا واقعا جديدا سيدا في ارضه ، كريما في ملامحه ، طيب الريح والروح .

واذا كان الكاتب قد تناول القضية من زواياها العامة فانه في قصته « نبوءات الشيخ سلمان » يخصص النظر الى زاوية واحدة وهي قضية فلسطين . ونجده هنا يتمتع – كما هو الحال دائما – بفهم موضوعي لابعاد هذه القضية فلا تجمح به العاطفة الى حيث نردد الشعارات ونلهب حناجرنا بالزعيق ، ولا يغرق في بحار السلبية والمؤاخذة .. انه ينظر الى الواقع في صورته

العامة ثم يركز على الاغوار ويبصر ما فيها جيدا ومن ثم كان تفاؤله بتحرير هذا الوطن او الفردوس الضائع مشروطا بشروط لا بد منها لتحقيقه . وهو في هذا منصف لا يتجنى على الواقع ولا يتخاذل ازاءه .

« من الذي سيذبح في هذه الحرب يا شيخ ؟ قال كثيرون .. الم تأتوا من مدنكم وقراكم لتموتوا هنا ؟ وسكت الشيخ قليلا قبل ان يستدرك قائلا : ولكنكم لن تموتوا جميعكم .. الطيبون وحدهم سيموتون . هكذا قال الشيخ سلمان بصوته الرقيق ولكنه الحازم » ص ١٣٤ .

انه يعني بالطيبين هنا كل الشرفاء والاصلاء الذين يعقدون النية الخالصة في المحاربة والمقاتلة . وليس الذين يأتون الى فلسطين وكل ما في اعماقهم يتنافى مع ما في افواههم واقوالهم . انه يعلق شرط الموت في هذه الحرب على الجهاد الخالص غير المزيف . ولا يختص به مرتزق او مأجور او ثري حرب او مستغل او خائن او منافق او كذاب . ومن ثم كان الانتقاد مرا وعنيفا لهؤلاء :

« وانت يا استاذ زهير ؟ انا اذكرك جيدا . لقد كنت تجاهد بقلمك اعنف الجهاد ، تقتل كل يوم خمسمائة صهيوني ، وتخلي عشر مستعمرات من سكانها على صفحات جريدتك الغراء ، بينما كان الصهاينة يقيمون بالبلد وزرات اسوارا عالية من التراب حول براكاتهم ، وبينما كانت فتياتهم يحملن السلاح في الدوريات الليلية . اما انت احمد افندي فلا ادري ما الذي كنت تفعله منذ خمسة عشر عاما وربما كنت انت الذي باعنا الفاصوليا المسوسة التي كنا نأكلها في قمم الجليل . او التمر الذي تمور حباته بالدود والذي كان حلوانا بعد تلك الفاصوليا . انا اصدقك اذا انكرت فلو انك كنت انت ذلك المورد لقوى انقاذ فلسطين لما كانت سهرتك اليوم معنا في خمارة « الشاب الظريف » . اذن لكانت لك فيلا وسيارة واشتراك في احد نوادي العاصمة الفخمة » ص ١١٨ – ١١٩ .

هكذا يرصد الدكتور العجيلي قوى انقاذ فلسطين التي تتاجر بالكذب والخداع والمنفعة الخاصة . وكأنه يقول لنا ان هذه القوى ما زالت قائمة وانه بوجودها لن يتم تحرير او قتال . وهو يرى بناء على ذلك انه سوف يحكم الفاشل والعاجز والخائن والفاجر ومن يبيع فلسطين ومن يدفع مالا ليتخلص من فلسطين :

« بعد ان يموت الناس ويحترق التراب ويحكم الفاشل ثم العاجز ثم الخائن ثم الفاجر تهتز جنبات الارض وتجعل الامة بالالام لتلد المنقذ المطهر .. هل فهمت ما أقول ؟ » ... ثم يتابع « نعم سيأتي الحاكم الذي يبيع فلسطين ثم الذي يدفع مالا ليتخلص من فلسطين .. بل لعل هؤلاء قد اتوا وهم يقودوننا ونحن لا ندري .. » ص ١٣٧ .

هذه رؤية الدكتور العجيلي وهي رؤية متقدمة دون فلسفات معقدة او خطابة عالية الرنين . ونحن لا نملك الا ان نتساءل معه : متى تحبل الارض وتلد المنقذ المطهر ؟ متى .؟

ولا يمكن لانسان منصف ان يتجاهل قيمة هذه الرؤية ازاء السيل الجارف لبعض الكتابات التي تنفر الوجدان وتبعث على الفيء والغثيان لخلوها من الفكرة المتقدمة والحرفة الجيدة .

ونحن نستطيع ان نعالج قضايانا القومية والوطنية بوضوح وصراحة دون ان ننجرف مع تيار الخطابية والشعارات والمقالات المدرسية التي يزعم اصحابها انها قصص .. وذلك اذا استطعنا ان نمسك بزمام الكلمة الفنانة والفكرة النيرة كما فعل الدكتور العجيلي .

والذي يتابع ما يكتبه الدكتور العجيلي في فن القصة عموما وفي « فارس مدينة القنيطرة » خصوصا يشعر به كاتبا متمرسا لا يستطيع الناقد ان يصف اصالته في عالم القصة الا بالعمق والامتياز .

سألت العم « يحيى حقي » ذات امسية ادبية في الاسكندرية :

– هل ترى جديدا في الفكرة القصصية العربية المعاصرة ؟

وكان رده دبلوماسيا للغاية . بيد انني فهمت منه انه ينفي الجدة في الفكرة القصصية ، فتجرات وسألته :

– اذا ماذا يعجبك في « نجيب محفوظ » يا استاذ ؟

اجابني على الفور :

– الحرفة .. افندم (٥) .. الحرفة ..

وراح يشرح لي بطريقته الودية الحنون ما في حرفة « نجيب محفوظ » من ابداع وابتكار .

بيد انني استطيع القول للعم « يحيى » ان الدكتور العجيلي يضم الى العظمة في الحرفة الجراة في الفكرة .. وهو حق للدكتور العجيلي لا يمكن ان يغمطه اياه انسان منصف في أي مكان وزمان .

لقد عبر عن اشواق الانسان العربي المعاصر بصدق واصالة دون افتعال او سقوط في متاهات الغموض والضباب .. وهي اشواق مشروعة بالحق والجهاد .

حاشية : هناك قصتان اخريان في المجموعة هما : « الحب في قارورة » و « الزقاق المسدود » وقد آثرنا ان ندعهما جانبا حتى لا يفقد الموضوع وحدته ونغمته .. ورغم هذا فان لهما من القيمة الفنية والموضوعية مكان .

مصر – مرقص بحيرة — **حلمي محمد القاعود**

---

١ – في الآية ٢٩ من سورة « الفتح » .

٢ – راجع عدد « الاديب » شهر ابريل ١٩٧١ حيث تناولنا هذا الموضوع بتفصيل اكثر .

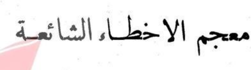
٣ – جاءت هذه العبارة في مسرحيته « الانسان الطيب » .

٤ – يمثل ابن « مرداس » النموذج المتشائم اليائس في الواقع الراهن .

٥ – « افندم » .. لزمة مشهورة من لزمات العم يحيى حقي ، وتتخلل حديثه دائما مثل الفواصل المهدة والحافزة .



محمد العدناني



بقلم محمد العدناني

* * *

عشرة دنانير ونصف

ويخطئون من يقول : اشتريته بعشرة دنانير ونصف . ويقولون ان الصواب ان نقول : اشتريته بعشرة دنانير ونصف الدينار ، خوفا من ان يظن ان المقصود بالنصف هو نصف العشرة . وبما ان الناس يفهمون ان المقصود بالنصف هو نصف الدينار ، فلا أرى مانعا من القول : اشتراه بعشرة دنانير ونصف . وفي الحذف مع المحافظة على المعنى بلاغة .

فما هو رأي مجامعنا ؟

الساعة السابعة ونصف

ويقولون : جاء تميم في الساعة السابعة ونصف ، ولا يحق لنا ان نعطف النكرة (نصف) على المعرفة (الساعة) . ولا ادري لماذا يخطئون من يقول : في الساعة السابعة والنصف ، ما دامت كلمة (النصف) تعني نصف الساعة ، لا نصف الدقيقة مثلا . ويرون ان الصواب ان نقول : في منتصف الساعة الثامنة ، او : في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين . فما هو رأي مجامعنا ؟

نضوج الثمر

ويقولون : نضج الثمر نضوجا . والصواب : نضج (بكسر الضاد) ينضج (بفتحها) نضجا (بفتح فسكون) او : نضجا (بضم فسكون)، فهو : ناضج ونضيج (بفتح فكسر) ، او : أنضجه فهو : منضج (بضم فسكون ففتح) ، ويقول المصباح : هو نضيج أيضا .

وقد اخطأ امير الشعراء احمد شوقي ، حين قال في جراح مصر الكبير علي باشا ابراهيم :

يد ابراهيم لو جئت لها بذبيح الطير ، عاد الطيرانا
لو أتت قبل نضوج الطب ما وجد التنويم عونا فاستعانا

ولو قال :

لو أتت من قبل نضج الطب ما وجد التنويم عونا فاستعانا

لتجنب الخطأ ، وظل الوزن مستقيما .

نضوة الحصان

ويقولون : بليت نضوة الحصان . والصواب : بليت نعل الحصان . وكلمة (نعل) في اللغة العربية مؤنثة .

نظرت الى المرآة

ويقولون : نظرت فلانة الى المرآة لترى حسنها . والصواب : نظرت في المرآة ، او تمرأت (بفتح ففتح فسكون) على توهم أصالة الميم ، كما قالوا : تمسكن . او : ترآت (بفتح ففتح فتضعيف) فلانة ، او : تراءت .

النعرة الطائفية

ويقولون : النعرة (بفتح فسكون ففتح) الطائفية ، ويقصدون بذلك: التعصب الطائفي . والصواب : النعرة (بضم ففتح) الطائفية . والنعرة هي الخيلاء والكبر ، وقد استعيرت للتعصب .

قال الجوهري : النعرة (بضم ففتح) ذباب ضخم ، أزرق العين، أخضر ، له ابرة في طرف ذنبه ، يلسع بها ذوات الحافر خاصة ، وربما دخل في أنف الحمار ، فيركب رأسه ، ولا يرده شيء .

ثم استعملت النعرة مجازا للخيلاء والانفة والكبر . ويقال : لاطيرن نعرتك ، أي : كبرك وجهلك من رأسك . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه : لا أقلع عنه حتى أطير نعرته .

أما النعرة (بفتح فسكون) ، فمن معانيها :

١ ـ صوت في الخيشوم .

٢ ـ نعرة النجم : هبوب الريح ، واشتداد الحر عند طلوعه .

أنعم بزيد

ويقولون : أنعم (بفتح فسكون فكسر فسكون) بزيد ، صائغين التعجب من فعل المدح نعم (بكسر فسكون ففتح) . وبما ان (نعم) فعل جامد ، وبما انه يشترط في الفعل ، الذي يتعجب منه مباشرة ، ان يكون متصرفا ، لا جامدا ، لذا نخطىء من يقول : أنعم بزيد ، عندما يريد ان يمتدح زيدا .

ولكنه يكون مصيبا ، حينما يكون الفعل أنعم (بفتح فسكون فكسر فسكون) من الفعل نعم (بكسر العين وفتحها) الثلاثي، المتصرف، التام ، المثبت ، المبني للمعلوم ، القابل للتفاوت ، الذي ليس الوصف منه على (افعل) . فيصبح المعنى : ما أشد رفاهية عيش زيد ، واعظم لينه .

أما معاني الفعل (نعم) فمنها :

١ ـ نعم الرجل ينعم (بفتح العين فيهما) نعمة (بكسر فسكون): رفه .

٢ ـ نعم (بفتح العين) عيشه : طاب ولان واتسع .

٣ ـ نعمت (بكسر العين) بهذا عينا : سررت وفرحت .

٤ ـ نعمك (بكسر العين) الله عينا ، او : نعم (بكسر العين) الله بك عينا : اقر بك عين من تحبه ، او : اقر عينك بمن تحبه .

٥ ـ نعم (بكسر العين) العود ، ينعم (بفتح العين) ، نعما (بفتح ففتح) : اخضر ونضر .

٦ ـ نعم (بضم العين) الشيء ينعم (بضم العين) نعومة : لان

ملمسه ، فهو ناعم .

وقال ثعلب حكاية عن العرب :

١ ـ نعم (بكسر فسكون) بزيد رجلا ، ٢ ـ نعم زيد رجلا .

الفعل نعم (بكسر فسكون) هنا متصرف ومشتق ، وليس جامدا.

انعي فلانا

ويقولون : انعي (بفتح فسكون فكسر) فلانا . والصواب : أنعى (بفتح فسكون ففتح) فلانا . من الفعل : نعى (بالالف المقصورة) ينعى (بالالف المقصورة) نعيا (بفتح فسكون) ، ونعيا (بفتح فكسر فتضعيف) ، ونعيانا (بفتح ففتح) فلانا : أخبر بموته ، او : ندبه ، فهو ناع وهم نعاة (بضم النون) ونعيان (بضم فسكون) .

ومن معاني نعى (بالالف المقصورة) :

١ ـ نعى عليه هفواته : شهره (بتضعيف الهاء) بها . (مجاز).

٢ ـ نعى فلانا : طلب بثاره .

٣ ـ نعاه الشيء : أخبره به .

٤ ـ نعى على نفسه بالفواحش : شهر نفسه بتعاطيه الفواحش.

٥ ـ نعى على فلان أمرا : أشاد به واذاعه .

نفذ صبره

ويقولون : نفذ (بالذال وفتح الفاء) صبره (بضم الراء) . والصواب : نفد (بالدال وكسر الفاء) ، أي : فني صبره . ومن معاني نفد (بالدال وكسر الفاء) :

١ ـ ذهب ، ٢ ـ فرع ، ٣ ـ انقطع .

راجع الآية ١١٠ من سورة الكهف .

وفعله : نفد (بكسر الفاء) ينفد (بفتح الفاء) نفدا (بفتح ففتح) ونفادا (بفتح النون) .

اما نفده (بفتح الفاء) البصر ينفده (بضم الفاء) نفادا (بفتح النون) فمعناه : بلغه وجاوزه . ونفد (بفتح الفاء) القوم (بفتح الميم) : مشى وسطهم وتجاوزهم .

وانفد القوم (بضم الميم) : ذهبت اموالهم ، او : فني زادهم .

قال ابراهيم بن هرمة :

أغر كمثل البدر يستمطر الندى ويهتز مرتاحا اذا هو أنفدا

ونفذ (بالذال وفتح الفاء) السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها (بضم الفاء) نفذا (بفتح فسكون) ونفاذا : خالط جوفها ، ثم خرج طرفه من الشق الآخر ، وسائره فيه .

ونفذه البصر : بلغه وجاوزه . هذا قول الكسائي ، اما ابو حاتم فيروي الفعل بالدال .

نفذ لوجهه : مضى على حاله (التاج) ، وهو من المجاز .

ونفذ (بفتح الفاء) ينفذ (بضم الفاء) نفاذا او نفوذا الامر والقول : مضى (مجاز) .

ونفذ الكتاب الى فلان : أرسل .

ونفذت الطعنة : جاوزت الجانب الآخر .

ونفذ الطريق الى موضع كذا : صار سالكا نافذا .

نوايا

ويجمعون نية على : نوايا . والصواب : نيات (بكسر فتضعيف) ، وقد ذكر صاحبا التاج واللسان ان نية (بكسر فتضعيف) تجمع ايضا على ني (بكسر فتضعيف) ، مستشهدين بقول النابغة الجعدي :

انك أنت المحزون في أثر الحي ، فان تنو نيهم تقم

وارجح ان النابغة الجعدي ، جاءنا بهذا الجمع ، ليستقيم وزن بيته ، ولا اعرف شاعرا كبيرا آخر ، او اديبا لامعا استعمل هذا الجمع (ني) بكسر فتضعيف .

لحم نيء أو نيء

ويقولون : لحم نيء (بفتح فسكون فضم) او نيء (بفتح فتضعيف). والصواب : لحم نيء (بكسر فسكون) ، ويجوز : ني (بكسر فتضعيف) بالابدال والادغام ، او نهيء (بفتح فكسر فسكون فهمزة) ، وهو اللحم الذي لم ينضج ، او لم تمسسه نار .

أما الني (بفتح فتضعيف) فهو : الشحم دون اللحم .

تقطعت نياط قلبه

ويقولون : تقطعت نياط (بكسر النون) قلبه . والصواب : تقطع نياط قلبه ، لان النياط مفرد مذكر ، وهو عرق غليظ نيط (بكسر النون) به القلب الى الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه .

والوتين هو : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه . وقال ابن سيده : هو عرق لاصق بالقلب من باطنه اجمع ، يسقي العروق كلها الدم ، ويسقي اللحم ، وهو نهر الجسد . والجمع : وتن (بضم فسكون) واوتنة (بفتح فسكون فكسر) .

وفي المعاجم : النياط هو الفؤاد أيضا . ومعلق (بضم ففتح فلام مفتوحة مضعفة) كل شيء . وجمعه : أنوطة (بفتح فسكون فكسر) ونوط (بضم النون) .

وفي الاساس : النياط والنوط (بفتح فسكون) بمعنى .

وفي الصحاح : النياط والنيط (بفتح فسكون) بمعنى .

نيف ومائة

ويقولون : جاء نيف (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ومائة رجل . والصواب : جاء مئة (كتابة المئة دون الف بعد الميم اقرب الى الصواب والمنطق) رجل ونيف (بفتح النون وتضعيف الياء المكسورة وضم الفاء وتنوينها) . ولا يقال (نيف) الا بعد العقود (من عشرين الى تسعين) ، او المئة ، او الالف . نحو : جاء اربعون ونيف ، ومئة ونيف ، والف ونيف .

ويعنون بكلمة (نيف) الاعداد من واحد الى تسعة بعد العقود والمئات والالاف . ويقول بعض حذاق البصريين والكوفيين ان النيف من واحدة الى ثلاث ، والبضع من أربع الى تسع .

نموذجات من حرف الهاء

هتاف

ويقولون : استقبل فلان بالهتاف (بكسر الهاء) . والصواب : استقبل بالهتاف (بضم الهاء) . والهتاف هو : الصوت الجافي العالي : وقيل : الصوت الشديد .

وقد هتف به (بفتح التاء) يهتف (بكسرها) هتافا (بضم الهاء) وهتفا (بفتح فسكون) : صاح به .

وفي حديث حنين ، قال : اهتف (بكسر التاء) بالانصار ، أي : نادهم وادعهم .

سحاب هتن

ويقولون : سحاب هتن (بفتح فكسر) . والصواب : سحاب هاتن او هتون (بفتح الهاء) . أي : يصب ما فيه من ماء . والجمع : هتن (بضم فتاء مضعفة مفتوحة) ، وهتن (بضم فضم) .

ويضيف التاج ومتن اللغة : سحاب هتان (بفتح فتضعيف) .

وفعله : هتن (بفتح التاء) المطر والدمع ، يهتن (بكسر التاء) ، هتنا (بفتح فسكون) وهتونا (بضم فضم) ، وتهتانا (بفتح فسكون)، وهتنانا (بفتح ففتح) .

محمد العدناني

نواف ابو الهيجاء - محمد ابراهيم الشاعر
معين الماضي - قسطنطين خمار

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ــ نواف أبــو الهيجاء

ولد « نواف » في قرية « عين حوض » من قضاء حيفا بفلسطين عام ١٩٤٨ ولجأ مع افراد اسرته التي نزحت مع قوافل اللاجئين الفلسطينيين الى بلدة « جنين » ثم انتقل مع ذويه الى العراق واقاموا في « الشعيبة » وهو معسكر أخلاه الجيش البريطاني في جنوب العراق بالقرب من مدينة البصرة . ودرس « نواف » في مدرسة الشعيبة الابتدائية وبقي فيها حتى عام ١٩٥١ ثم انتقل مع عائلته الى بغداد وسجل في مدرسة الاشبال ، وبعد ان اتم دراسته الابتدائية التحق بمدرسة متوسطة واخرى ثانوية واكمل دراسته فيهما .

وفي عام ١٩٦٠ دخل قسم اللغة الانكليزية في كلية الاداب بجامعة بغداد وفي عام ١٩٦٣ عمل في « صوت فلسطين » من اذاعة بغداد وفي شتاء ١٩٦٤ اعتقل وابعد الى الجمهورية العربية السورية وعمل مدرسا في احدى ثانويات اللاذقية وسجل في كلية الاداب بجامعة دمشق ، وفي عام ١٩٦٥ حصل على الليسانس باللغة الانكليزية وعمل في جريدة « الثورة » ثم انتقل الى جريدة « البعث » فوزارة الاعلام السورية وفي عام ١٩٦٨ انضم الى جهاز دائرة الثقافة بدمشق وعمل محررا في مجلة « المعرفة » الشهيرة .

وخلال دراسته المتوسطة والثانوية تفتحت عيناه على ادب المنفلوطي والدكتور محمد حسين هيكل ونجيب محفوظ ويوسف السباعي وعبد الحليم عبد الله وغيرهم واثرت فيه رواية « الثلاثية » لنجيب محفوظ واقبل على ادب غوته وشكسبير ونصحه بعض قراء ادبه بكتابة الرواية بعدما وقفوا على مطولاته الشعرية ، فكتب اولى محاولاته الروائية عام ١٩٥٩ وهو طالب في الثانوية المركزية . وفي دراسته الجامعية تعرف على الافق الواسع للادب العالمي وعكف على ادب شكسبير ، هنريك ابسن ، برنارد شو ، تي. اس. اليوت ، جيمس جويس ، فولكنر ، شارلز ديكنز ، موباسان ، غوغول ، هوغو ، تشيخوف ، همنغواي ، سارتر ، كامي وغيرهم كما عكف على ادب نفر من ادباء مصر المعاصرين .

من آثاره القلمية : في مطلع الستينات تفرغ « نواف » للمطالعة وفي اعقاب عام ١٩٦٤ ، وعلى شاطىء اللاذقية الجميل ، كتب اول قصة قصيرة بعنوان « ثلاثة فقط » وبعد نشرها في دمشق وجد تشجيعا من قرائه فاقبل على كتابة القصة ونشر الآثار القلمية التالية :

١ ــ والخيبة ايضا (مجموعة قصص قصيرة) طبع عام ١٩٦٥
٢ ــ الطريد (رواية) طبع عام ١٩٦٦
٣ ــ من اجل حرب التحرير الشعبية (وهو محاولة في فهم معركة التحرير وابعادها) .
٤ ــ الفارس الاقرع (تحت تأثير الصدمة الهائلة بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ لم يجد « نواف » مناصا من كتابة المسرحية ليواجه الجمهور بالصراحة فكتب مسرحية « الفارس الاقرع » ونشرها في مجلة « المعرفة » الدمشقية) .
٥ ــ سودرا (مسرحية) نشرت في جريدة « الثورة » الدمشقية .
٦ ــ نهار خليلي (مسرحية) (نشرها وقدمها المسرح العربي الفلسطيني) طبع عام ١٩٧٠ .
٧ ــ الاسبوع ذو الايام الثمانية (رواية) .
٨ ــ التصفية (مسرحية) نشرتها مجلة « المعرفة » الدمشقية في عدديها ٩٦ و٩٧ عام ١٩٧٠ .
٩ ــ ممرات مضيئة الى احزان الفلسطيني (مجموعة قصص قصيرة) نشرتها « دار العودة » في بيروت عام ١٩٧١
١٠ ــ الخسوف (رواية) .

وفي مطلع عام ١٩٧٠ شرع في كتابة نوع خاص من القصة القصيرة اسماه « رباعيات » ونشر « العصافير » وهي الرباعية الاولى في العدد الخاص بالقصة المعاصرة في سورية الذي اصدرته مجلة « المعرفة » الدمشقية في ١ ــ ٢ ــ ١٩٧٠ .

وفي كافة ما يكتبه « نواف » وينشره يحاول ان يكون صادقا مع نفسه ومع ما يشعر به وما يدركه وما يلقاه من وسائل يقول عبرها « ان الفلسطيني انسان ... كبقية خلق الله ... والفارق الوحيد بين الفلسطيني وبين غيره من الناس انه يعيش مشردا ... منفيا ... سواء أكان داخل ارضه او خارجها ... ! » .

نموذج من نثره : « قال لي مرارا ان الموت لافضل من ان يحتمل الانسان اعباء وجوده ... ولقد انكرت عليه هذا ، بل صرخت بوجهه ذات مرة : « اذهب وانتحر اذن !! »

راح يومها يفلسف لي كيف انه قد يموت وهو حي ... وكيف ان الانتحار قد يؤدي الى ما هو أشد تعاسة ... لانه يجهل ما بعده ... غير اني وفي هذا اليوم النيساني القمئي ادرك اشياء كثيرة ... فحين تفرق الخيبة فارا يقبع في حجره المظلم ، وقد تأتي أفعى تقضي عليه.. او قد يقتله الجوع ... وان ما يجيش بصدري الآن لا يعدو ان يكون غير الحقد ، مجرد حقد أصبه على الكون ... لانه يضم تلك الآفة اللعينة التي ما فتئت تنشر اليأس والخيبة ... انها الحب !

لم اشعر في أي يوم بدبيبه يسري في اعصابي ويجمد احاسيسي عن كل فكرة سواه .. غير ان عينيها العميقتين اغرقتاني في بحريهما الازرقين ... ويوم رأيتها وهي تدخل مبنى الجامعة تتهادى كأنما هي طاووس فخور قلت : « ها هي ... انها هي .. لا شك في ذلك ! ».

وتم لي ما اريد .. فلقد كان من السهل ان اتحدث اليها واحس معها بان كل ما يقوله (احمد) هو مجرد وهم وهذيان ليس الا ... اللحظات التي انفردنا بها كانت أحلى من الشهر ... بل لكأني بذلك البحار الذي جال كل المحيطات واعياه التجوال ... والعواصف تنتزعه من فرحه وهدوئه ... فاذا به امام جزيرة ليس فيها سوى الخضرة الدائمة والظلال الرحيمة ... وهكذا حلمت عدة مرات بأني اغرق صدرها بالدموع حين اشعر بالوحدة تمزقني ... وتفرغ هدوء اعصابي . لقد قالت لي والمطر منهمر فوق الاعشاب والحشائش والاشجار ... ليعيد الحياة الى اوصالها الظامئة : « يا عزيزي ... كانك لم تذق طعم الحب يوما ! » .

فاجأتني بجرأتها تلك ... ففتيات قريتنا لا يكلمن الشباب ابدا الا ايام الافراح والاعراس ... وليس في وسع فتاة ، تسمع اشارة او تلميحا حول جمالها ، الا ان يتورد خداها وتغمض اجفانها حياء وخفرا ... لكن فتاتي التي احببتها جريئة ، من المفروض في كرجل ان اخوض معها موضوعات كهذه ... غير اني لم اجرؤ ... لقد خرس لساني وتجمدت الكلمات في حلقي ... رأيتها تبتسم وتقول : « يا لك من شاب (خام) ! » .

لم تعتد مخاطبتي بهذه اللهجة ... كنا نتحدث عن الدروس ، وعن الناس وعن تصرفاتهم ... وعن السياسة ... رغم انها تمقت الحديث عن السياسة ... ويبدو الامتعاض منها على وجنتيها المتوردتين ... لكني لم اجد مادة للحديث معها سوى الحديث عن الجامعة والدروس والسياسة ... وكم مرة جلسنا صامتين ... كل منا ينتظر ان يبدأ الآخر الحديث ... وهذه المرة احرجتني !

لكن ماذا تجدي الذكرى الآن ؟ لقد ذهب كل شيء ... واتضح كل شيء يوم جاءني (احمد) وهتف : « فتاتك تخونك ! » . وددت ان اهشم وجهه ... بيد اني تمالكت اعصابي وقلت :

ـ انك مفرض !

ضحك ثم قال : « سأبرهن لك على صحة ذلك ... تعال معي ! »

ـ الى أين ؟

ضحك وهو يربت على كتفي : « هل تحتمل اعصابك الصدمة ؟ »

اجبت وانا مؤمن بكذبه : « طبعا ... اعصابي هامدة ... تحتمل كل صدمة ! »

اقتادني خارج المبنى وسرنا في شارع بور سعيد ... كنت صامتا افكر في عمله الوقح هذا وساءلت نفسي : أيريد ان يبرهن لي على ان ذلك الشعور مجرد خدعة ؟

وامام مبنى كبير قال : « هذه هي الكوريدا ... سندخلها ! »

وتساءلت باستغراب : « وما هي هذه ـ الكوريدا ـ ؟ »

ضحك وقال : « صحيح انك ساذج ! »

ـ كيف ؟

ـ ادخل معي ... هيا .. سترى ! »

صعدنا السلم بكل هدوء ... قلبي بدأ يخفق بعنفوان واضطراب ... فتح الباب ... الجو داخل « الكوريدا » هادىء كقبور قريتنا النائية ... وكان الظلام الشاعري يخيم على الجو كله ... وفي زاوية شبه معتمة لمحت شبحين ... يقابل كل منهما الآخر ... وهتف (احمد) : « تلك هي حبيبتك ... مع عشيقها الجديد ... انظر اليها ... انها تقبض على يديه ... كانما تحتضن الدنيا و ... انظر اليه .. انه يتحسس كتفيها العاريين ! »

لم استطع الا الهرب ... قفلت عائدا تفرقني الخيبة ... ويملأني كلام « احمد » حقدا وغيظا على تلك الخائنة ! ولكن ما جدوى؟ عندما تذبل الوردة التي تقطف ... لا يمكن للماء ان يحييها من جديد ولا حتى التراب ... فهو يواريها ... ويغمرها الذهول والنسيان .. ها أنذا اسير نحو الجامعة ... كل الناس من حولي مجانين ... يسيرون بغرابة هذا اليوم ... ما للشمس تحجبها السحب المكفهرة ؟ ما للسيارات تسرع بعصبية وجنون يمزقان اعصابي ... ويفتتان كبدي ؟ اود لو اصفع كل الناس ... ان اضرب أيا منهم ... لكني لا استطيع ... فالخيبة تقيدني .. ولا استطيع حيال ذلك امرا !

اريد ان اراها اليوم ... ماذا ستقول ؟ ماذا ؟ لم ادخل الجامعة منذ ذلك اليوم التعس ... ستفاجأ اليوم بوجودي .. سأوسعها سبابا وشتما ... سأصرخ بها امام الجميع : « انك خائنة ! » .

ولكن هل تحضر مساء ؟ اذا كانت عشيقة ذاك الفتى ... فلم لا ؟ موعد هنا ومن ثم « كوريدا » جديدة ... او قديمة !

وقفت تتجاذبني افكار عديدة ... لن اجدها !!! بلى ... ساعثر عليها ! لاذهب ! لانتظر !! ما هذا ... يد تهبط بنعومة لتتحسس كتفي فجاة ... التفت ... يا للهول ! ما هذا ؟ انها هي .. بكل ما فيها من عذوبة وجمال ... ايتها اللعينة ... ايتها الكلمات التي تخونني على الدوام كلما واجهتها ! انها تبتسم ... بل وتسألني :

ـ اين كنت هذه المدة ؟

غير اني لا اعثر على الكلمات ... تجمد ثانية ... خذلتني اللعينة ... عيناي تشعان ببريق حنان وعاطفة .. هما ايضا تخذلاني ... يداي تقبضان رغما عني على يديها ... انهما تخدعاني .. كلي خيانة ... وموت !

قادتني الى الخارج ... وهمست باذني بينما بدأت استعيد شيئا من قواي :

ـ هل أنت اصم أبكم ؟

ـ من الذي كان يصحبك في « الكوريدا » ؟

ضحكت ... اقسم ان ضحكتها تلك افزعتني !

ـ انه صديق حميم !

ـ ايتها اللعينة ... تعترفين هكذا وبكل وقاحة ؟

مرة اخرى ضحكت ... ببراءة :

ـ اعرفك جيدا ... أنت (خام) !

حاولت جهدي الافلات منها ... غير ان ذلك العبير الذي يفوح يشدني اليها ... ويصغر العالم امامي ... ليستحيل الى ... (هي) .. صوتها العذب يفقدني كل احساس ، احاول ان الفظ ... ان اقول شيئا ... ان اصرخ في وجهها : « انت خائنة ! » لكني لا استطيع ... ها هي تقول بصوت خافت ناعم :

ـ انني اتمتع بك فحسب ... انك لطيف ... لطيف ! تختلف عنهم كلهم ... كل الذين اعرفهم شياطين ... اما انت ... فكشجرة الزيتون اليتيمة في صحراء الموت والخراب والى جانبها واحة خضراء أنشد فيها راحتي وسلواي !

قلت ، وقد انفلت الحبل الذي يشد الكلمات ، فجأة :

ـ انك خائنة ... خائنة !

حملقت في وجهي ... احسست بالدماء تغلي في عروقي ... وبرغبة شديدة في البكاء ... كنت اسمع انفاسها التي تحرقني ... اخيرا قالت :

ـ من ذا الذي دنس حرمة طبيعتك ؟ من ذا الذي اهان فيك براءة شجرة الزيتون اليتيمة ...؟ أهي فتاة ؟

ضحكت رغما عني بمرارة ولست ادري كيف ذاب الكلم اخيرا :

ـ نعم انها فتاة !

ـ من هي ؟

ـ انت

وتذكرت صورة « أحمد » ... آمنت بان اقواله كاذبة ! ففي الحياة يمكن ان نكون امواتا ويمكن ان نكون غير ذلك ... سمعتها تهتف بعد ان ارتخت قبضة يدها من حول زندي :

ـ لقد نجحت تجربتي !

لم ادرك ما تعنيه ... فقلت مستغربا :

ـ تجربتك ؟ ما هي ؟ الخداع ؟

ضحكت وقد توقفنا تماما ... وحدقت في :

ـ بدأت احبك ... سترى « احمد » بعد قليل !

ـ ماذا تعنين ايتها اللعينة ؟

ـ اننا نعيش في عصر المادة ... أليس كذلك يا عزيزتي ؟

ـ نعم !

ـ عظيم ... لنحول علاقتنا التافهة ... الى مادية ... مجدية !

اخيرا فهمت ما تصبو اليه .. اذن هي ليست خائنة ... من هو ذاك الرجل اذن ؟

وقبل ان استوضحها ... اشارت بيدها وهي تبتسم :

ـ ستشاهده الآن عندما نذهب الى بيتنا !

قلت بعد صمت قصير ... استعيد فيه كل ما مضى :

ـ صحيح ان الخيبة مبعثها القحط ... وان الامل والحياة مبعثهما الخضرة والثمار !

كادت تحتضنني وهي تصرخ :

ـ بدأت تحيا ... المهم ... الثمار ... الثمرة !

وسرنا ... كان كل شيء هادئا ... لا اعلم لماذا وددت ان اسمع هدير الرعود ... وابلل نفسي بالمطر ! »

٢ ـ محمد ابراهيم الشاعر

ولد « محمد » في مدينة « يافا » بفلسطين عام ١٩٢٨ من اسرة اشتهرت بحبها للعلم ، حيث كان جده عبد الخالق الشاعر اول من أسس مدرسة نظامية في يافا عام ١٨٦٠ لتدريس اللغة العربية وآدابها ، غير ان السلطات التركية اعتبرت عمله الثقافي هذا تحديا لسياسة التجهيل التي تبنتها في الولايات العربية فلاحقت عبد الخالق واغلقت مدرسته اكثر من مرة ، وقد سار على نهجه ولده ابراهيم الشاعر الذي حملته النكبة الاولى على استيطان دمشق وقد توفي فيها عام ١٩٦٥ .

انهى « محمد » دراسته الثانوية في الكلية الابراهيمية بالقدس عام ١٩٤٦ وقصد الاسكندرية لدراسة الهندسة المعمارية في جامعتها ، الا ان احتدام الصراع بين العرب واليهود ، وتهديد فلسطين بالتهويد، دفعاه الى التوقف عن متابعة دراسته لينضم الى صفوف الشبان الذين نذروا انفسهم للدفاع عن يافا ، حيث كان في عداد الفوج الاول من المقاتلين الذين تدربوا على ايدي المتطوعين اليوغوسلافيين الذين قدموا مدينة يافا عام ١٩٤٧ بهدف المشاركة في الدفاع عنها الا انه في نفس هذا العام رشح من قبل اللجنة القومية في يافا للدراسة العسكرية في سورية ، وقد انهى مع رفاقه الضباط الفلسطينيين دورة عام ١٩٤٨ وبقي يعمل في الجيش العربي السوري ، ويتدرج في رتبه الى ان بلغ رتبة العقيد عام ١٩٦٩ بالرغم من فترة الانقطاع التي امضاها لاجئا سياسيا خارج سورية حيث ظل اكثر من خمس سنوات خارج الخدمة العسكرية اذ درس خلالها الاقتصاد السياسي في احدى جامعات اوروبا .

وشارك « محمد » في تأسيس « جيش التحرير الفلسطيني » و « قوات التحرير الفلسطينية » في عام (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) وقام بعدة اعمال في المجالين النظري والعملي .

من آثاره القلمية : برز نشاط « محمد » في دنيا التاليف منذ عام ١٩٥٠ ، والكتب التي صنفها وخرجت الى عالم النور هي :

١ ـ الالغام ـ صدر عام ١٩٥٠

٢ ـ الالغام والمصائد والمتفجرات ـ صدر عام ١٩٥١

٣ ـ الهندسة العسكرية المصورة ـ صدر عام ١٩٥٤

٤ ـ برمجة الاقتصاد الوطني في الجمهورية العربية المتحدة ـ صدر عام ١٩٦٥

٥ ـ التخطيط الاقتصادي والعسكري في اسرائيل ـ صدر عام ١٩٦٦

٦ ـ تطوير القرى العربية الامامية الى وحدات اقتصادية ودفاعية ـ صدر عام ١٩٦٨

٧ ـ الحرب الفدائية في فلسطين على ضوء تجارب الشعوب في قتال العصابات ـ طبعة اولى عام ١٩٦٧ طبعة ثانية ١٩٦٨ طبعة ثالثة ١٩٦٩

٨ ـ نحن والعدو والعمل الفدائي ـ صدر عام ١٩٦٩

٩ ـ القواعد الحربية في العالم وفي الوطن العربي ـ صدر عام ١٩٧٠

١٠ ـ جغرافية فلسطين العسكرية ـ طبعة عام ١٩٦٩ طبعة عام ١٩٧١

نموذج من نثره : « عندما يريد الانسان ان يقوم بعمل ما لا بد له من رسم خطوطه ودراسة اسلوب تنفيذه وتحديد الوسائل اللازمة لتحقيقه وغير ذلك من التفاصيل التي تقل او تكثر وفقا لحجم العمل ودرجة تعقيده .

والحرب هي اعقد عمل يقوم به الفرد او الجماعات وخاصة الحرب الحديثة التي اصبحت في ايامنا هذه ملتقى اكبر العقول المفكرة في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية ، كما وان الحرب هي الساح التي تتبارى فيها مختلف الشعوب لتقدم آخر ما توصل اليه الانسان في مختلف العلوم النظرية والطبيعية وابراز احدث المبتكرات الصناعية والزراعية والطبيعية والكيماوية وغيرها ، حيث اصبحت التكنولوجيا هي السمة البارزة في الحرب الحديثة .

يقول الجنرال « فولر » في كتابه « التكنولوجيا والحرب الحديثة » لقد اكدت الحرب ثانية (يقصد الحرب العالمية الثانية) ان طاقة الانسان الآلية تربح الحرب ، والطاقة الآلية كما نعلم هي المقياس الذي يعطي مقدار تطور الامة في مجال العلوم والفنون والصناعة وغيرها . ويمكن ان يزاد على قول « فولر » بخصوص الحرب القادمة: ان القوة المجهزة بالاسلحة الصاروخية النووية لديها الطاقة الكافية للقضاء على الجيوش المجهزة باسلحة عادية ، كما وان الابتكارات الجديدة ستجعل الحرب القادمة مختلفة عن الحرب العالمية الثانية ، كما نعلم ان للحرب عناصر مادية واخرى معنوية .

وفي كل الاحوال يبقى الانسان في قطبي الحرب (الصديق والعدو) او الطرفان المتنازعان هو العنصر الحاسم ومن هنا تاتي اهمية دراسة قوانا بدقة ـ تحديدها ـ تقييمها ـ قياس قوتها ـ درجة استعدادها المادي والمعنوي ومقابل ذلك يتوجب علينا دراسة القطب الآخر أي العدو باسلوب يتصف بالدقة بغية اعطاء الصور الحقيقية عن العدو في جميع مجالاته الفكرية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية » .

٣ ـ معين الماضي

في قرية « اجزم » المطلة على الساحل الفلسطيني والرابضة على نجد واقع بين سلسلة جبال الكرمل ولد « معين » متحدرا من اسرة امتد نفوذها على القطاع الساحلي ما بين حيفا ويافا .

ويذكر المرحوم الدكتور اسد رستم استاذ دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت ان اقدم مركزين لمشايخ الاقطاع في فلسطين كانا قرية « اجزم » وقرية « أبو غوش » وان المنطقة الساحلية التي كان يسودها نفوذ آل ماضي ساهمت مساهمة فعالة في فشل الحملة التي قادها ابراهيم باشا المصري لاحتلال سورية .

درج « معين » في قرية ذات سحر طبيعي خلاب ، وتلقى فيها

---

١ ـ « في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) تأسس « المنتدى الادبي » في الاستانة ومن ابرز اعضائه : عبد الكريم الخليل وعارف الشهابي ويوسف حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ورفيق رزق سلوم واحمد عزت الاعظمي وعبد الوهاب الزوتيني وعبد الوهاب الانكليزي وتوفيق البساط وسليم الجزائري وامين لطفي الحافظ ومحمد الشنطي واحمد طباره ورشدي الشمعة وجرجي حداد وسعيد عقل وباترو باولي .

وكان لهذا النادي فضل كبير في ضم شتات الطلاب العرب وتلقينهم المبادىء الوطنية وافهامهم حقوق البلاد العربية واعدادهم لخدمة امتهم ولغتهم ، كما كان صلة الوصل بين افراد الجالية العربية في استانبول، وملتقى القادمين اليها من انحاء العالم العربي ، وقد بلغ عدد اعضائه عدة آلاف ، وانشئت له فروع كثيرة في الشام والعراق » . ـ جيل الفداء ـ ص ـ ٨٩ : قدري قلعجي .

١ ـ « انشىء « المنتدى الادبي » وكان الغرض منه ايجاد رابطة ثقافية بين الطلبة العرب ، ولكنه بدأ يتحول الى مركز سياسي منذ تبدلت سياسة « جمعية الاتحاد والترقي » مع العرب . ولم يخف ذلك على الترك فلجأوا الى سياسة المجاملة خصوصا بعد ان اصبح عبد الكريم الخليل معتمدا للشبيبة العربية ، فقد ظنوا انه اصبح في امكانهم السيطرة عليها بالتردد على ناديها وابداء العطف على معتمديها والقائمين بامرها » . ـ مذكراتي على هامش القضية العربية ـ ص ـ ٣٥ : اسعد داغر .

جانبا من دراسته الابتدائية ، وبانتقال والده المرحوم عبد الله الماضي مستنطقا الى حيفا انتقل « معين » اليها واكمل دراسته في المدرسة الرشدية . وروى الذين عرفوا « معينا » في فجر صباه انه كان المعيا مجدا في دراسته ، منكبا على تحصيل العلم . وفي عام ١٩٠٨ أي بعد اعلان الدستور العثماني التحق بالكلية الملكية في الاستانة وهناك تفاعل مع الطلاب العرب الذين كانوا يعملون لبعث القومية العربية وانتسب « للمنتدى الادبي » (١) .

« وقد (٢) اصدر المنتدى مجلة باسمه كانت مجال اقلام شبان العرب وادبائهم في كل ما يتصل بالعروبة وتاريخها وحقوقها ولغتها وامانيها ، وغدت مظهرا من مظاهر الفكرة ودعامة من دعائم حركتها ، وعلى صفحات هذه المجلة نشرت أولى القصائد والاناشيد التي تشيد بامجاد العرب وتعرب عن امانيهم ، والتي كان الشبان العرب يرددونها ويتغنون بها في اجتماعاتهم الخاصة والعامة » .

ونتيجة لمقال جارح ، طافح بالسباب والشتائم ، نشرته جريدة « طنين » التركية وفيه تحامل كاتبه على العرب ونحت من اثلتهم ... تنادى نفر من الشبان العرب في استانبول للقيام بمظاهرة صاخبة ضد تلك الصحيفة والقائمين على شؤونها ، وكان « معين » من اشدهم حماسا واكثرهم اندفاعا ، وقد دعا اخوانه الشبان الى تدمير مطابعها ومكاتبها ، فنجحت الدعوة وسارت المظاهرة ، وكانت اول مظاهرة عربية تشهدها الاستانة ، وهاجم الطلبة العرب مكاتب الصحيفة ودمروا مطابعها ، فاستدعى المسؤولون عنها رجال الامن الذين اصطدموا مع المتظاهرين من العرب ونشبت اعمال عنف سالت فيها الدماء من الجانبين ، وكان دم « معين » ودماء رفاقه اول دم عربي يهرق في سبيل القومية العربية .

وفي عام ١٩١٢ تخرج « معين » من الكلية الملكية باستانبول وعهد اليه بوظيفة في بلدة كشمونة (من اعمال الاناضول) ، ثم ما لبث ان عين رئيسا لبلدية عكا بفلسطين واثناء رئاسته قام باصلاحات جمة من ابرزها هدم جزء من الجانب الشمالي الغربي من سور عكا الشهير ليفسح المجال امام اتساع المدينة وامتدادها نحو العمران ، كما اضاف الى مشاريعه العمرانية شق وتعبيد الشارع الكبير المحاذي لشاطىء البحر ، وهذا الاصلاح الذي تم في عهد « معين » كان سببا في اتساع عكا ونشوء المدينة العصرية خارج السور .

وفي العهد الذي تولى فيه « معين » رئاسة بلدية عكا تولى صديقه الاداري الحكيم هاشم الاتاسي متصرفية ذلك اللواء ، ومن المعلوم انهما من غلاة القوميين العرب ، فتعاونا معا في الدعوة للحركة العربية ، فضلا عن تعاونهما في ازدهار عكا عمرانيا واقتصاديا .

واثناء تولي « معين » رئاسة البلدية زاره صديقه الشهيد عبد الكريم الخليل وافضى اليه بالصلة التي تربطه ب (جمال السفاح) واطرى العلاقات الودية التي انشأها معه ، وان « جمالا » وعده بالعمل على تنشيط حركة القومية العربية وتحقيق مطالب العرب !

وبعد عودة عبد الكريم الى بيروت روى « معين » لصديقه الاتاسي ما دار بينهما من حديث ... فكان جواب الشيخ الاتاسي « ان هذا الشاب هالك لا محالة ! » ولم تمض سوى ايام قلائل حتى امر السفاح الديوان العرفي بعاليه بان يقضي باعدام القافلة الاولى من الشهداء العرب ، وفي ٢٠ آب ١٩١٥ نصبت المشانق في ساحة البرج ببيروت لاحد عشر شهيدا ، وكان أول من صعد الى المشنقة عبد الكريم الخليل الذي أجال بصره في الحاضرين وقال :

« اذا كان جمال باشا يتهمنا باضرام الثورة لاستقلال العرب ، فلا بد من ضحايا لهذا الاستقلال ، ولكن نحن اول الضحايا ! » ثم هتف بحماسة : « يا ابناء بلادي ، نحن امة تسعى للاستقلال والتحرر من نير الترك ... فيا ارض وطني احفظي ذكرانا ، وانت يا سماء بلادي احملي الى كل عربي سلام هؤلاء الشهداء ، وقولي لهم اننا عشنا في سبيل الاستقلال ، ونموت في سبيل الاستقلال ! »

وما لبث « معين » ان اعيد الى الادارة فعين قائم مقام لقضاء بانياس ، ولما اشتدت نقمة جمال السفاح على الشبان العرب ... مد « معين » لهم يد العون باخفائهم عن الانظار ، واخفاء الوثائق التي يحملونها ... وعندما أحس بان السلطة التركية تراقبه عمد الى اتلاف تلك الوثائق فكان سببا في نجاة الكثيرين من مشانق السفاح ! وحدا من نشاطه القومي نقل الى ديوان الولاية في بيروت ليتاح للمسؤولين مراقبته عن كثب .

لكن « معينا » الذي عرف بصلابة عوده ورسوخ ايمانه ... لم يهن امام هذا النقل بل راح يندمج مع العاملين في حقل الحركة العربية في بيروت وينتسب الى جمعية « العربية الفتاة » ولا بد هنا من كلمة مستفيضة حول هذه الجمعية :

في عام ١٩١٣ « انتقل الدكتور احمد قدري (٣) وعارف الشهابي الى سورية ، ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي الى لبنان ، فاصبح للجمعية مركزان رئيسيان في دمشق وبيروت يعملان على نشر مبادئها الاستقلالية ، وسرعان ما اتسع نشاطها ، وتركز النضال القومي فيها ، وتكاثر عدد المنتسبين اليها . ومن ابرز هؤلاء فيصل بن الحسين وزيد بن الحسين وشكري القوتلي وياسين الهاشمي وجميل المدفعي ومولود مخلص وعلي جودة الايوبي ورضا الركابي وعزة دروزة ورفيق سلوم وعمر حمد وتوفيق البساط وصالح وسعيد ويوسف وابراهيم حيدر ومحب الدين وسيف الدين الخطيب ونسيب وفوزي وسامي البكري وفخري البارودي واحمد مريود وامين وعبد الوهاب ميسر وشكري الشوربجي وخالد واسعد الحكيم وصدقي ملحس وعمر الاتاسي ومحمد الشريقي ومعين الماضي وتحسين قدري وزكي ومحمد علي التميمي وتوفيق الناطور وبشير القصار وبشير النقاش وكامل القصاب وسعيد الباني ورشدي الامام الحسيني ورشدي الشوا وسليم عبد الرحمن وحافظ كنعان واحمد المناصفي وابراهيم هاشم ومحمد المفيني وتوفيق فايد وجميل مردم وصبحي الحسيبي ورشيد الحسامي وتوفيق السويدي واسماعيل وفائز وبهجة ومصطفى من الامراء الشهابيين » .

واسرفت السلطة التركية في مراقبة « معين » وبعد ان آمنت بازدياد نشاطه وتشجيعه على المطالبة بحقوق العرب ألقت القبض عليه واحالته على المحاكمة امام الديوان العرفي في عاليه وسرعان ما أتلف الوثائق والمستندات التي لديه ، فكان للجهد الذي بذله المرحوم والده ولاتلاف تلك الوثائق سبب تبرئته والافراج عنه .

وتخلصا من مطاردة الاتراك اختفى في احد بيوتات دمشق المسيحية بباب توما واتخذ له اسما مستعارا وكانت الاسرة التي حضنته هي اسرة صديقه المحامي الاستاذ نجيب الحكيم الذي اصبح فيما بعد شريكا لمعين في مكتب للمحاماة أسساه في حيفا .

وبعد ان انحسر ظل الحكم التركي عن سورية الطبيعية دخل الجيش العربي وعلى رأسه الامير فيصل بن الحسين دمشق وفي الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٩ قسمت سورية الى ثمانية الوية منها لواء الكرك (ومركزه مدينة الكرك) وتولى كرسي المتصرفية فيه على التوالي : عبد الله الدليمي ، عبد الفتاح المرعبي ، زكي الخطيب ، معين الماضي ، رؤوف الايوبي ، منصور عبد الصمد .

وخلال اقامته في دمشق اسس مع رهط من رجالات فلسطين جمعية سياسية باسم « جمعية فلسطين العربية » وهدف هذه الجمعية الدفاع عن فلسطين وقضيتها ضد الصهيونية الباغيةوالاحتلال البريطاني الضالع معها .

وتطلع الامير فيصل بن الحسين ورجال حكومته بعين الحذر واليقظة الى اطماع الدول الاجنبية بسورية الطبيعية فقرروا اشراك

---

٢ ـ حول الحركة العربية الحديثة ج١ ص ـ ٢٤ : عزة دروزة .
٣ ـ جيل الفداء ص ـ ٩١ : قدري قلعجي .

الشعب في تحمل المسؤولية ودعوا الى انتخاب ممثلين رسميين في « المؤتمر السوري » ليقابل لجنة الاستفتاء الاميركية برئاسة مستر كراين وليبابع « فيصلا » ملكا على سورية .

وفي السابع من حزيران ١٩١٩ افتتح هذا المؤتمر في دمشق وكان « معين » أحد ممثلي حيفا في هذا المؤتمر .

وبعد غروب شمس الحكم العربي الفيصلي عاد مع الكثيرين من رجالات فلسطين الى فلسطين وعمل مع اخوانه في حيفا في الحركة الوطنية وراح يمثل حيفا في المؤتمرات الوطنية التي كانت تعقد في امهات المدن الفلسطينية .

وفي عام ١٩٢١ اختاره المؤتمر الرابع عضوا في الوفد الفلسطيني الذي قصد لندن مقررة مصير الشعوب للدفاع عن عروبة فلسطين ومكاشفة المسؤولين برفض العرب لوعد بلفور ، وكان هذا الوفد برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني وعضوية كل من الحاج توفيق حماد وشبلي الجمل ومعين الماضي وابراهيم شماس ، وقد واجه هذا الوفد العربي امورا ذات بال منها :

اولا – عرج اعضاء الوفد العربي على الفاتيكان وقابلوا قداسة البابا وكشفوا له عن اطماع الصهيونية بالارض المقدسة وسألوا قداسته الوقوف الى جانب الحق العربي فوعد بنصرة فلسطين والوقوف معها . ولكن سرعان ما اثار هذا الوعد ثائرة الصهيونية التي دفعت الصحافة البريطانية الى شن حملة عنيفة ضد قداسته وطلبت منه الكف عن الخوض بالشؤون السياسية التي لا تعنيه ، وفعلا تراجع البابا ولاذ بالصمت .

ثانيا – حاول اعضاء الوفد العربي اكثر من مرة الاتصال بالصحف البريطانية ليوضحوا للشعب البريطاني وجهة النظر العربية في قضية فلسطين ، لكن الصحافة البريطانية راوغت في الاستجابة واقتصرت على نشر انباء وصول الوفد دون أي شرح او تفصيل .

ومن النوادر التي رواها المرحوم « معين » ان اعضاء الوفد اجتمعوا ذات يوم باحد رجال الصحافة البريطانيين وبعد نقاش طويل قال لهم ذلك الصحفي بصراحة : « ان جريدتي تعيش على الاعلانات وان الكثير منها يجيء عن طريق الشركات والمؤسسات اليهودية التي ستحجم الاعلانات عني اذا انا ناصرت قضيتكم ! » واضاف ذلك الصحفي قوله « انكم يا سادتي باقون في لندن لفترة قصيرة ... لكن اليهود باقون فيها الى الابد ! » .

ثالثا – اثناء جلوس اعضاء الوفد العربي في الفندق بلندن دخل عليهم شخص ايرلندي واستاذنهم بالجلوس معهم فاذنوا له ، وبعد ان وقف على الغاية من قدومهم لبريطانيا قال لهم بصراحة الرجل الحر : « انتم مخطئون وواهمون يا سادتي اذا تصورتم ان بريطانيا تعرف طريق العدالة ... ان مكان العمل لقضيتكم ليس في لندن ... ان مكانها في فلسطين ... وان قومي الايرلنديين كانوا يستجدون بريطانيا حقهم الصراح ولكن بدون جدوى ... وعندما الفنا المنظمات الفدائية وشرعنا في نسف العمارات بلندن والمدن البريطانية ونشرنا الذعر والاضطرابات بين صفوف الشعب البريطاني خف المسؤولون الى خطب ودنا ودخلوا معنا في المفاوضات وتنازلوا مرغمين عن حقوقنا المشروعة .. ونصيحتي لكم العودة الى فلسطين فورا والاقتداء بما عملنا ... عندها ستلقى قضيتكم العدل والاستجابة ! » .

وفي اللجان العربية العليا كان « معين » ينتخب عضوا وفي عام ١٩٣٢ اشترك مع رفاق له في تأسيس « حزب الاستقلال العربي » وكان هذا الحزب يهدف الى الكفاح ضد الانكليز والصهيونية معا .

وفي عام ١٩٣٦ اوفد الى بغداد وهناك بذل جهدا مشكورا في سبيل تجهيز حملة عسكرية بقيادة فوزي القاوقجي لدعم الثورة الفلسطينية الناشبة عامذاك في فلسطين ، فاثار عمله هذا عداء السلطة البريطانية فشددت الخناق عليه .

وفي عام ١٩٣٧ سافر مع الشيخ كامل القصاب وعوني عبد الهادي وعزة دروزه الى العراق والسعودية واجروا محادثات مع المسؤولين حول مقاطعة عرب فلسطين للجنة الملكية البريطانية التي شكلتها الحكومة البريطانية لدراسة اسباب الثورات الفلسطينية وتقويم التوصيات اللازمة بصدد النزاع العربي الاسرائيلي .

وبعد ايابه من اداء هذه المهمة استأنف الانكليز مراقبته فالتجأ الى دمشق وهنا طلبت السلطة البريطانية اخراجه من سورية فلبت السلطة الفرنسية طلبها وحملته على مغادرة سورية الى لبنان . ولم تكف السلطة البريطانية عن التشديد عليه في لبنان فاضطر الى الاقامة في استانبول وظل فيها حتى انتهت الحرب العالمية الثانية .

وفي استانبول اخذت السلطة التركية بمراقبته مع رجالات فلسطين المقيمين فيها ، وخشية ان تقع الوثائق والمستندات المحفوظة لديه ومذكراته التي شرع في تدوينها عن حياته اقدم على حرقها وكان اتلافها خسارة كبرى للقضية العربية .

وفي عام ١٩٤٦ نالت سورية استقلالها فعاد « معين » الى سورية بعد ان اذن له بدخولها صديقه المرحوم شكري القوتلي . وفي دمشق شارك في عيد الجلاء عن سورية (١٦ نيسان ١٩٤٦) وقد اثلج هذا الحدث القومي صدره وحقق امنية عزيزة على قلب كل عربي مؤمن .

وفي صيف ١٩٤٦ غادر دمشق الى بيروت ومنها الى فلسطين بعد ان صدر العفو عنه وهناك استأنف نشاطه السياسي وشرع في توجيه القوى العاملة لخدمة القضية وعمل ضابط اتصال بين سماحة الحاج محمد امين الحسيني المقيم في القاهرة وبين الوطنيين في فلسطين .

وفي عام ١٩٤٧ اختير عضوا في « الهيئة العربية العليا » وفي عام ١٩٤٨ استقال منها اثر خلاف نشب بين بعض اعضائها ومنهم « معين » وبين رئيسها الحاج محمد امين الحسيني ، ورغم استقالته منها ظل يبذل جهده مع رجالات سورية وفلسطين لدعم القضية الفلسطينية والعمل من اجل تحقيق الوحدة العربية .

وبعد حلول النكبة الاولى (١٩٤٨) استقر « معين » في دمشق وظل وفيا للقضية التي نذر نفسه لخدمتها الى ان وافاه الاجل في ١٦ تشرين الاول ١٩٥٧ فشيع جثمانه في احتفال مهيب ووري التراب في مقبرة الدحداح بدمشق !

٤ – قسطنطين خمار

ولد « قسطنطين » في مدينة عكا بفلسطين عام ١٩١٧ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرستي الحكومة بمسقط رأسه (من عام ١٩٢٣ – ١٩٣١) والتحق بالكلية العربية في القدس واحرز الشهادات العلمية التالية :

١ – شهادة الاجتياز الى التعليم العالي الفلسطيني – عام ١٩٣٣
٢ – دبلوم التربية (من الكلية العربية ودار التربية والتعليم) عام ١٩٣٤
٣ – الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية – عام ١٩٤٥

وبعد حصوله على دبلوم التربية عين معلما بالمدرسة الثانوية الحكومية في مدينة حيفا وظل يعمل فيها حتى عام ١٩٤٨ . وبعد النكبة الفلسطينية الاولى التي عصفت بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ شغل الوظائف التالية :

أ – مدرسا بوزارة المعارف السورية ، تجهيز البنين الاولى والثانية بحمص (١٩٤٩ – ١٩٥٣) .
ب – مدرسا بالكلية الانجيلية بحمص (١٩٥٣ – ١٩٥٤) .
ج – مساعد مدير بمدرسة برمانا العالية بلبنان (١٩٥٤ – ١٩٥٥)
د – مراقب التعليم لمنطقة صيدا ، بوكالة الغوث الدولية (١٩٥٥ – ١٩٥٧) .
هـ – مراقب التعليم لمناطق بيروت والجبل والبقاع وطرابلس ، بوكالة الغوث الدولية (١٩٥٧ – ١٩٥٩) .

نشيد الحرية

●

حضوري لديك ...
طموح ينير طريقي اليك ،
طموحي اليك ...
رشاقة حلم يعانق دفء الالم ،
عبور تجلى بالف نغم ،

طموحي اليك ...
سيبقى يرن ...
ويبقى يحن ...
الى ان يتم العبور
عبوري اليك ،
فتغدو المسافة حلم هوية
واغدو بفيضي ...
اعانق جذوة نبضي ...
فيشهد رافض رفضي ...
باني ساصفو ...
لان تجارب قهري
لان سرايب اسري
تصوغ رؤاي وفكري
فاصفو ...
لابعث حب القضية
واملك صنع الحياة .

الناظور ــ المغرب — لقاح محمد

و ــ نائب مدير التربية والتعليم بوكالة الغوث الدولية في لبنان (١٩٥٩ ــ ١٩٦٦) .

ز ــ مدير التعليم العام بوكالة الغوث الدولية في لبنان (١٩٦٦ ــ الان) .

من آثاره القلمية : عالج قسطنطين موضوعات هامة في تاريخ فلسطين وجغرافيتها وقضيتها وفيما يلي اسماء الكتب المطبوعة التي صنفها بقلمه :

١ ــ الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ــ طبع في بيروت عام ١٩٦٤

٢ ــ الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية (طبعة ثانية منقحة) طبع في بيروت عام ١٩٦٦

٣ ــ جغرافية فلسطين المصورة ــ طبع في بيروت عام ١٩٦٦

٤ ــ جغرافية فلسطين المصورة (طبعة ثانية منقحة) طبع في بيروت عام ١٩٦٧

٥ ــ موسوعة فلسطين الجغرافية ــ طبع في بيروت عام ١٩٦٩ باشراف « مركز الابحاث » بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٦ ــ فلسطيننا ــ اسهم في تاليف هذا الكتاب الذي قام « مركز الابحاث » بمنظمة التحرير الفلسطينية باصداره عام ١٩٧١ .

نموذج من نثره : « كانت فلسطين منذ فجر التاريخ جزءا لا يتجزأ من (بلاد الشام) (سوريا) فجميع مراجع التاريخ العربي تسمي المنطقة التي تلي وادي النيل شرقا (ديار الشام) ذلك ان كلمة (شام) في اللغة تعني (الشمال) ومنها كلمة (تشائم) التي من جملة معانيها (اخذ نحو شماله) فقد كان العربي الواقف في ارض الحجاز ، والمولي ظهره نحو البحر الاحمر ، يجد هذه الديار عن شماله ، ولذلك اطلق عليها اسم (ديار الشام) كما انه ، وهو على هذه الحالة من الوقوف ، كان يجد بلاد اليمن عن يمينه ، ولذلك اطلق عليها اسم (اليمن) ويمتد هذا اللفظ (بلاد الشام) الى اقدم عهود الجاهلية .

وكانت فلسطين جزءا من هذه البلاد ، وقد اشار اليها المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودتس » المكنى ب « ابي التاريخ » قبل الميلاد بقرون خمسة ، على انها « جزء من بلاد الشام » . كما ان مؤرخي الحروب الصليبية من الفرنجة ، سواء منهم من رافق الحملات الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد ، او من أتى بعدها ، يؤرخون لفلسطين على انها جزء من بلاد الشام وقد ورد ذكرها كثيرا في آيات القرآن الكريم .

لقد كانت الموجات السامية تندفع من ارض الجزيرة العربية في فترات متعاقبة ، نحو الاراضي الخصبة المحيطة بشمالي الجزيرة ، وهي اراضي العراق وسورية التي اصطلح على تسميتها ب « الهلال الخصيب » اما اسباب هذه الهجرات السامية فمتعددة ولعل اهمها التماس الكلا والمرعى بعد حدوث القحط .

وكانت الموجة الثانية ، في عرف المؤرخين ، هي هجرة قبائل « الكنعانيين » في منتصف الالف الثالثة ق. م (حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م) واستيطانها الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام (وهو ما عرف فيما بعد بفلسطين) ولذا فقد دعي هذا الجزء ، منذ ذلك الزمن، باسم « ارض كنعان » ومن المعقول جدا ان يكون « كنعان » هذا من اجداد العرب القدامى امثال « قحطان » و « غسان » فقد ذكر الثقات من مؤرخي العرب ومفكريهم الاقدمين ان « الكنعانيين » من القبائل العربية البائدة ، وقد ذهب مذهبهم في ذلك المؤرخ الكبير المعاصر « برستد » . وعلى هذا نجد ان عروبة هذا الجزء الجنوبي من بلاد الشام أي « فلسطين » ترجع الى تلك العهود السحيقة ــ ارض عربية، ووطن عربي منذ اقدم الحقب . وما تسمية هذا الجزء الجنوبي من بلاد الشام (بارض كنعان) الا نتيجة لسيطرة الكنعانيين عليه سيطرة تامة ، ما يزيد على الف وخمسمئة سنة (من سنة ٢٥٠٠ ق. م الى سنة ١٠٠٠ ق. م) فقد عمروا البلاد وانصرفوا الى الزراعة ، وانشأوا المدن واحاطوها بالاسوار الحصينة ، وكان من اشهرها : اريحا وبيسان وشكيم (نابلس) ومجدو . وقد نقش على اعمدة هيكل الكرنك (في الاقصر بمصر العليا) اسماء ١١٩ مدينة من مدنهم ، وهذا اقدم ذكر للمدن الكنعانية . ومن هذه المدن : عكا ، صور ، يافا ، وغيرها .

كما اكد هذا القول اقدم مرجع تاريخي بين ايدينا وهو العهد القديم « التوراة » فهو المصدر القديم الوحيد الذي يبحث تاريخ فلسطين في ذلك العهد السحيق بصورة مفصلة ، اذ يذكر انها وطن الكنعانيين ، وانها بلاد كنعان . وتملأ اخبار القبائل الكنعانية الفصول الطوال من هذا الكتاب ، كما تذكر ان الكنعانيين جعلوا منها بلادا تدر اللبن والعسل ، فقد جاء فيها « مدن عظيمة لم تبنها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملاها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم زيتون لم تغرسها » .

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم

لم يكن لوالديها ولد سواها . لذا ربياها في جو من النعمة والدلال . وقد انسجم ما احاطاها به من الوان النعمة والدلال مع ما وهب لها الله من فتنة وجمال . كل ذرة من جسمها تكلفت الشيء الكثير من الغذاء الغالي المفيد ، والابتسام العميق العريض ، والكلام الحلو الرقيق من والديها ومن صديقاتها ومعارفها . انها كثيرة المسايرة طلية الحديث ، لذا كثرت صديقاتها ومعارفها . حتى وهي صامتة تتقرب اليها الصديقات والمعارف . هناك شيء غير المسايرة والحديث الطلي يجذب النساء والفتيات من حولها . انه السنة الجمال الناطقة في العينين اللوزتي الشكل ، وفي الوجه المزهر ببياضه وحمرته ، وفي قوامها النحيف الذي يبدو طويلا وهو متوسط الارتفاع ومشرفا وهو ليس كذلك . طول الخصر اكسبها طولا ، وطول العنق اكسبها اشرافا .

هذه هي (ندى) التي حام حولها الرجال متنافسين في الفوز بها زوجة تلهي وتسر وتطرد الحزن من القلب والكآبة من الوجه . كل يريد ندى زوجة له . راضي بك الموظف الكبير اعجب بها ويريدها زوجة له . حسبه ما قضى من السنين العديدة من شبابه في الحرمان والانتظار . ها قد تمكن بما بذله من جهد شديد ان يدخر من راتبه مبلغا ضخما من المال . انه على استعداد لان يقدمه بين يديها مهرا وهدايا . وعبد القادر صاحب مصنع الحلويات الشهير يرغب عن طيبة قلب ان يمطرها وابلا من ذهبه المكدس في صندوقه الحديدي الضخم ومن امواله المتجمعة في المصارف . ويوسف تاجر البضائع التي تباع بالجملة يتمنى ان تقبله ندى زوجة له فيهدي اليها حليا ماسية وذهبية تجعلها تبدو اجمل مما هي عليه الآن .

— ماذا فعلت حتى الآن يا اختي ؟ ارجو ان تكوني قد وقفت في اقناع ندى بأنني اقدر الناس على توفير السعادة والهناء لها ان اتخذتها زوجة لي .

(آه يا انعام ! قولي لي كلمة سارة . قولي نعم ، لقد وفقت ، وانا اسبغ عليك هدايا ثمينة لم تكوني تفكرين فيها) .

— ماذا افعل لك يا اخي ؟ انها بعيدة المنال . لقد قالت لي : « انني ما زلت صغيرة السن ، ولا افكر في الزواج الآن » .

(انها عنيدة ومتكبرة وان كانت حلوة الحديث ومشرقة الابتسام) .

— ولكنك صديقتها . انها تفضلك على جميع صديقاتها ، فكيف لا تجيبك الى طلبتك ؟

الحب محاصر

بقلم عبد الحميد الانشاصي

(واذن فهي ليست صديقة مخلصة كما قلت لي مرارا) .

— ولكن الحب فوق الصداقة . انها تحب يا راضي .

(هذا هو سبب تمنعها) .

— تحب ؟ تحب من ؟

(انني لم اكن اعرف ذلك من قبل) .

— تحب شابا اسمه نبيل .

(انه مثلها جميل وذكي . فكيف تتخلى عن حبه من أجل المال ؟)

قصة

— أغني هو ؟

(لا شك انني اغنى منه فانه ما يزال شابا غرا) .

— كلا . انه ليس غنيا ، ولكنه جميل وذكي .

(ان في ذلك كفاية . وماذا يعجب الفتاة من خصال في حبيبها غير ما ذكرت ؟)

فهز راضي بك رأسه ، ثم قال بصوت ضعيف :

— لا تيأسي يا اختي . حاولي ثم حاولي . انني على يقين بأن ندى سوف توافقك في النهاية . لا بد ان يهديها فكرها الى الحقيقة والصواب فتجيبك الى طلبتك . ان جميع الحسان من الفتيات يرفض في اول الامر ان يتزوجن المتقدمين في السن من الرجال الاثرياء ثم لا يلبثن ان يقبلن طائعات راغبات .

وقد انصرفت انعام من عند اخيها وهي مصممة على بذل المزيد من وسائل الاقناع لعلها توفق في مهمتها .

★

— هل قبلت أم ندى ان أتزوج ابنتها ؟ بشري !

(انني املك مصنعا ضخما وثروة هائلة . فماذا تريد بعد هذا كله ؟)

— لم تقل أمها كلمة فاصلة يا عبد القادر ، ولكنها تؤمل وتعد من طرف غامض .

(ولكنني اؤكد لك انها رفضت طلبي) .

— ان الامهات هكذا . تتدلل الواحدة منهن على من يطلب يد ابنتها . الحي عليها يا أمي . الحي عليها . لا بد ان تقبل في النهاية . لا بد ان تقبل .

— سأحاول مرة اخرى يا ولدي ، بل عدة مرات . وارجو ان تكون النهاية خيرا ان شاء الله .

قالت الام ذلك وهي تعلم ان سعيها سوف ينتهي بالفشل .

★

— ماذا فعلت يا فريد ؟ هل

استطعت ان تفهم ابا ندى الحقيقة وتقنعه بأنني أصلح الرجال زوجا لها ؟

(يجب ان يحمد الله على ان ساق اليه رجلا ثريا مثلي يرضى ان يتخذ ابنته زوجة له) .

ـ لا يا يوسف . لقد اعلمني ابوها انه لم يحن الوقت بعد لتزويج ابنته .

(قال ذلك ليقطع رجائي ويريحني من التردد اليه في هذا الشأن) .

ـ وهل صدقته ؟ لا شك ان الفتاة تحب شابا اسمه نبيل راشد. هذا ما انباني به كثيرون من اصدقائي التجار . ولا شك ايضا ان البنت هي التي تمانع في الزواج بي لانها متيمة بحبيبها الجميل . وهذا شأن بنات هذا العصر فهن يردن الشباب والجمال ، ولكن بعضهن ذكيات يدركن ان المال هو المحور الذي يدور حوله العالم . ان في امكان والدها ان يقنعها بذلك . ألح عليه ، ولك مني مئة دينار ان وفقت . هذا غير الهدايا . أفاهم انت ؟ ابذل ما لديك من جهد .

★

نبيل شاب جميل ذكي لا يخالط الناس الا قليلا فهو مقبل على دروسه التي يتلقاها في الصف الثالث الثانوي ، مكب على المطالعة في منزله مشغول البال بطموحه ومستقبله . ولكن في قلبه مكان للحب . انه متيم بندى . كثيرا ما مر بها وهي في طريقها من المدرسة الى الدار ، وكثيرا ما صادفها في اسواق المدينة وهي سائرة على الرصيف او واقفة امام حانوت نوفوتيه .

« اصوات من الخارج : هذا الشاب الجميل الخليع نبيل يحب ندى . انه يعشقها . ولست ادري متى يتزوج بها . ما هذه الوقاحة ؟ حب مكشوف واضح. لماذا لا يتدخل الوالدون فينهوا العاشقين عن هذا التصرف الشاذ ؟ »

ان كانت ندى شبيهة بزهرة من ازهار الشباب فان نبيلا يشبه ثمرة من ثماره . واذا تحاذيا وهما ماران في شارع او سوق كانا شبيهين بزهرة وثمرة نابتتين على غصن اخضر مورق في فصل الربيع .

(اصوات من الداخل : احبك يا حبيبتي ندى . لشد ما اشتقت اليك وتمنيت ان اراك . ما اجمل وجهك ، وما اخف جسمك على ارض ، وما ارشق الحان وقع قدميك عليها !)

« اصوات من الخارج : هذا الشاب السافل المتكبر ! لست



عبد الحميد الانشاصي

●

ادري كيف تحبه تلك الفتاة الطائشة ؟ »

كانت ندى تسير على مهل في الشارع العريض الممتد في اعلى الجبل حيث يقل المارة من الناس . اشجار مزدحمة بجذوعها واغصانها واوراقها تطل على جانب الطريق اليميني ، بعكس المارة القليلي العدد المتفرقين على الطريق هنا وهناك . وكان الهواء يهب على الوجوه لطيفا كأن مراوح خفية تجلبه اليها في ذلك اليوم القائظ من ايام الصيف ، غير ان ذلك الهواء اللطيف المنعش وان استطاع ان يلطف الحرارة التي تمشت في وجه ندى فانه لم يستطع ان يلطف الحرارة التي كبتت في قلبها الفتي . انها تسير على الطريق وحدها والهواء لطيف والمناظر الطبيعية خلابة . هناك همس عذب في حفيف الاوراق وهمس آخر في هبوب نسمات الهواء . مرارا التقت نبيلا في تلك الطريق الجميلة ، فسارا متباعدين بجسميهما متقاربين بقلبيهما ونظراتهما . ترى هل تراه اليوم ايضا ؟ لها وقت طويل وهي تسير وتتلفت ، تسير وتتلفت ، ولكنها لم تره ـ لم يأت بعد . كان رماد المساء ينتشر على وجه الارض وفي الجو ، ماذا جرى له ؟ ان هذا ليس من عادته . لقد كان يجيء اليها في مثل ذلك اليوم .

واخيرا قدم نبيل . انه مقبل عليها يحث الخطى . ولما داناها ابتسمت اليه . لم يكن على مقربة منهما احد من المارة . كانت ابتساماتهما تفيض حبا وشوقا .

قالت بصوت معزوف على شفتيها الحمراوين المتلئتين :

ـ لقد كنت في انتظارك . لماذا تأخرت ؟

ـ كنت أعلم ذلك . ولهذا حثثت اليك الخطى .

ومالا الى طريق جانبية مسقوفة باغصان الاشجار ومحروسة بجذوعها الغليظة القوية . وكانت ندى تبتسم في هدوء . مضت برهة وهي تبتسم . فلفت ذلك نظر نبيل اليها . ان ابتسامها غير طبيعي . ادرك ان هناك سببا لذلك الابتسام الطويل الامد . لم يكن الابتسام تعبيرا عن سرورها بالتقائهما بعيدين عن عيون المارة . لا ليس ذلك هو السبب .

ـ لماذا تبتسمين يا ندى ؟ انك تكادين تضحكين .

(لا بد ان يكون هناك شيء خفي يجول في ذهنك ولا تريدين ان

تصارحيني به . قولي لي الحقيقة . **لماذا تبتسمين ؟)**

كادت كلماته : « انـك تكادين تضحكين » تحثها على الضحك . وقد ضحكت فعـلا . اطلقت بضع قهقهات موسيقية عذبة بعثت الطرب في اذن نبيل وانتشرت ابتسامة على وجهه ولكنها لم تجبه . فكرر عليها سؤاله . وبعد برهة اجابت وهي تبتسم :

ـ لقد ضحكت من اولئك الذين طلبوا يدي . مـا اسخف عقولهم ! **انهم يلحون ويلحون .**

(الا يدرون انني خطيبة حبيبي **نبيل ؟)**

فوسع نبيل عينيه في استطلاع ، وقال في خوف :

ـ طلبوا يدك ؟ من هم ؟

(وماذا قلت لوالديك ؟)

ـ انهم قوم اثرياء ، ولكننـي لا **اقيم للمال وزنا . انك تعلم ذلـك .** لقد ردوا خائبين .

(لقد اتفقنا على الزواج وقضي الامر . انهم لا يدرون انني اخترتك زوجا لي . مساكين !)

ولكنها لم تذكـر اسماء الذيـن طلبوا يدها . الح عليها في ذلـك . فذكرت اسماءهم . فهز نبيل رأسه ساخرا ثم قال :

ـ هه ! موظف وصاحب مصنـع وتاجر . حسن ! ان هؤلاء الرجال متقدمون في السن . لقـد قضوا شبابهم وهم يكدحون ويجدون حتى **جمعوا الثروة ، ولكنهـم خسروا** الشباب . لـم يعرفـوا الحب في شبابهم لانهم كانوا منصرفين عنه الى جمع المـال ، فكيف يعرفونه فـي كهولتهم ؟ ان الحب شجرة لا تنبت الا في ارض الشباب ولا تترعرع الا في جوه . فكيف يجدون لذة فـي الزواج ان تزوجوا في الكهولة ؟ لقد قضوا شبابهم في الصراع والجهاد والخبث واللؤم والخـداع حتـى تغلبوا علـى خصومهم ومناوئيهـم وتمكنوا من ان يصلوا الى النجـاح ويجمعوا ثـروات ضخمـة . لقـد ملئت قلوبهم لؤمـا وخبثـا ودسا **ومقاومة . فهل بقي في قلوبهم مكان** للحب والاخلاص لمـن يتزوجون ؟ تعودوا ان يكونوا جادين ، فكيف **يمرحون ؟ ذهب الشباب مخلفـا** تجاعيد في جباههم وذبـولا فـي جفونهم وسوسا في اسنانهم . لا احد **من هؤلاء يا ندى يصلح لك زوجا .**

لم يكد نبيل يتم كلامه حتى انطلق الضحك من ثغر ندى سلسلة مـن القهقهات الرنانة وصارت تتمايل من شدة الضحك . فسـرى الضحك اليه وقال :

ـ مـا قيمـة اموالهـم الآن ؟ **ليلقوها الى الكلاب . انهم يريدون زواجا ليرزقـوا اولادا لا حبـا** ليتزوجوا .

فصاحت ندى في اعجاب :

ـ خير لهم ان يقضوا بقية حياتهم اعزابا .

ـ **هذا هو عين الصواب** . هـذه هي الحقيقة .

(لا مكان لاحد من هؤلاء في قلب فتاة صبية) .

ثم حدقت الى حبيبها ، وقالت بنغمة مشبعة بالهـوى والحنان **وبعينين دانيتين بنظراتهما** وان كانتا بعيدتين بحدقتيهما .

ـ انني لك وانت لي يا حبيبي .

ـ لقد خلقت لك وخلقت لـي .

ـ ان الاقدار اعدت احدنا للآخـر . ونحن نتم عمل ذلك بالحب والزواج . اليس كذلك يا حبيبتي ؟

(ان الاثرياء اعجـز مـن ان يتغلبوا علينا) .

ـ طبعا . طبعا .

ـ ان مستقبلي امامي . غـدا اتخرج في المدرسة ، وسوف احترف الصحافة ، فان لـي موهبة فـي الصحافة . لقد اتفقت انا وصديق لي ورث عن ابيه ثروة ضخمـة ان نشتري مطبعة ونصدر جريدة مـن نوع جديد لا بد ان تتفوق على جميع **جرائد هذا البلد** بما ندخله فيها من ابواب طريفة مفيدة ، وبعد ثـلاث **سنوات على الاكثر نجمع مالا غزيرا** ونصبح من الاغنياء .

★

« ـ اخي راضي في الدرجـة **الاولى . انه وكيل وزارة . وهـو على استعداد لان يدفع مهرا مقداره** خمسمائة دينار وان يقدم هدايـا ثمينة . ـ سافاتح زوجي في هـذا الشأن ، ولست ادري بعـد ماذا تقول ابنتي . **ـ ان ابني عبد القادر** موفق في مصنع الحلويات الـذي **يملكه ، وهـو علـى استعداد ان** تزوج ابنتك ان يخصص اليها اسهما **في المصنع . فهل انت راضية الآن ؟ ـ سافاتح زوجي بهذا الامر . انـه** صاحب الحل والربط . **ـ يوسف التاجر اشهر من نار على علم . فهل** ترده خائبا يا ابا كامل ؟ ان زوجتـه ابنتك تعش معه في سعادة وهنـاء . **سيارته الخاصة تحت تصرفهـا ،** ويمكنها ان تشتري ما تشاء مـن الوان الحلي وان تشتري في كـل شهر فستانا جديدا . وسيقدم مهر **لها مقداره الف دينار** . ـ سأفكر في الامر مليا . امهلني اسبوعين » .

مل الوالدان كثرة المراجعات فـي شأن ابنتهما ندى . يريـدان ان يزوجاها بأحد الرجال الثلاثة الذين طلبوا يدها فيستريحا مـن هـذا العناء .

ـ الم يعجبها احـد مـن هؤلاء **الثلاثة رجال الاثرياء الذين طلبـوا يدها ؟ من تريد ان تتزوج ؟ انهـا** فرصة سانحة لها ، **وقد لا تعود في المستقبل . فيجب ان تقبل احدهم** زوجا لها .

ـ ولكن ندى تحب نبيلا يا ابـا كامل . انهـا تفضله علـى اولئـك الاثرياء .

(انها تحبه . وقد اقسمت لـي انها سوف تتزوجه ، وانه من المحال ان تتخلى عنه) .

فضيق الوالد عينيه وحـدد نظراته ثم قال :

عودة بلا روح

●

عدنا وعدنـا فهـل عادت أمانينـا	وهل يعود الهوى والحب لوحينا
عدنا ولكن بـلا لحن بــلا أمـل	غاض الذي كان بالاحلام يسقينـا
ماتت عيون الجوى والوجد في دمنا	وجف فيض من الاعماق يروينـا
كنا نقول الهوى يبقى ولـو غربت	شمس الحياة كان القول يبقينـا
كنا نصوغ من الاشواق فرحتنـا	تذوب في سحرها احلى اغانينـا
كنا وكان الهوى طفـلا نهدهـده	ما زال يحبــو وترعـاه مآقينـا
كنا وعدنا وعـاد الوهـم يسبقنا	فالوصل يسعدنا والبعد يبكينـا
عدنا كطيف وقـــد ذابت سرائره	وصار نبض الهوى في القلب يدمينا
عدنا وعدنا وملء الوهم عودتنا	يمتص من عمرنا الزاكي الرياحينا

القاهرة — **فاطمة عبد المقصود يوسف**

ــ نبيل ! الا تزال تحب نبيــلا ذلك الشاب الخالي الجيب مــن المال . انها طائشة وهو اشد طيشا منها . اقنعيها بالعدول عــن فكرتها الطائشة وبالنزول على رغبة يوسف فهو تاجر موفق في بيـــع البضائع بالجملة . ان المــال ينهال عليـــه انهيالا .

(ان لم تنفـــذ كلمتي نفذتهــا بالقوة) .

ــ لقد حاولت اقناعها مرارا فلم أوفق .

(أنذرتني بالانتحار ان ارغمتهـا على الزواج بأحد هؤلاء الرجال) .

ــ وإذن فسأفاتحها انـا بالامر . انا اقدر منك على اقناعها .

(حتى متى ندللها ؟)

ــ لا ، لا . اترك هذا الامر لي . انها تؤخذ باللطف لا بالعنف .

ــ امهلك يوما واحدا . بعد غــد تعلمينني ما تم بينك وبينها .

(ان فشلت فاتحتها انا بدوري) .

ولما ابتعد ابو كامل عــن زوجته شعرت بخور في قواها وباسترخـاء في اعصابها وكادت يغمى عليها مـن شدة الحزن والالم .

« ــ يوسف تاجــر غني جــداً يا ابنتي . لقد عرض الف دينــار مهرا لك . ان لــه سيارة ومنزلا فخما بني علـى الطراز الحديث . وكل تجار المدينة يشترون منــه . انه اكبر مـــوزع للدقيـــق والارز والسكر والشاي . وهو يحبـك .

ــ ولكنه اصلع يا امي . وشعـــره معظمه ابيض اللون . انه كهل فـي الخامسة والاربعين وانا صبية فـي السابعة عشرة من عمري ، وهــو فضلا عن ذلك شبه امي لا يعرف الا الحساب وتقييد اسماء المديونين في سجل الحانوت . انـــه لا يعرف الانجليزية ولم يطالع في حياته كتابا واحدا . فكيف أتزوجه ؟ ــ ولكــن اباك مصر على ان يزوجه بـك سواء ارضيت أم أبيت ــ ماذا تقولين ؟ ان اصر على زواجي بذلك الرجل احرقت نفسي او هويت من نافذة في المنزل على الارض لاستريح مما تجلبانه علي من الضيق والظلم . اريد ان اعلمكما ان نبيلا هو الشاب الوحيد الــذي وقع عليه اختياري . وسأتزوجــه سواء ارضيتما ام ابيتما » .

(اصوات من الداخل : نبيــل ! نبيل ! أين انت يـا نبيل ؟ خلصني مما وقعت فيه مـــن ورطــة . ان والدي يريد ان يرغماني على التزوج بالتاجر يوسف وأنا امقته ولا أطيق رؤية وجهه) .

(منظر في الداخــل : ينتظرهــا نبيل في الطريق حتــى اذا اقتربت منه امسك يدهـــا وركبـا سيارة خاصة وهربا) .

★

ــ ماذا تم من الامر يا اختي ؟

ــ لقد رفضت ندى رفضا باتا ان تتزوجك .

ــ هل اقنعت أم ندى يا امي ؟

ــ لا فائدة من الالحاح عليها . ان ابنتها تحب نبيلا .

ــ هل قبل والد ندى يا فريد ؟

ــ لقد وعدني بالقبول ، وبعــد انتهاء اسبوعين اقابله لآخذ منـــه الجواب النهائي .

★

ــ ماذا قالت ندى ؟

ــ لقد أبت ان تتــزوج التاجــر يوسف .

ــ رفضت ؟ اين هي ؟

ــ انها ليست في المنزل .

ــ الى اين ذهبت ؟

ــ لست ادري . لقــد انذرتني بان تحرق نفسها او تهــوي مــن النافذة على الارض . وقد اعلمتني بانها ستتزوج بحبيبها نبيــل سواء أرضينا ام أبينا . ولها وقت طويل وهي في خارج المنزل . ولعلها التقت نبيلا وتزوجته .

عمان — **عبد الحميد الانشاصي**



العرب واليهود في التاريخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثارية

تاليف الدكتور احمد سوسة ـ ٥٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المكتبة الحديثة رقم ٤٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد

يا قادة العرب في ارض العرب !
يا سدنة تاريخ العرب !
ايها « الجامعة العربية » في عهد محمود رياض !
ايها الاساتذة والمعلمون والمربون والمهذبون !
ايها العربي الصغير ابن الجيل الجديد !

أني اعتقد اعتقادا كليا ، واصبح هذا الامر عندي يقينا ، انه لو طبع من هذا الكتاب المفجر الناسف ، مقدمته التي لا تزيد على اربعين صفحة وعنوانها « الكتاب في سطور » ، وكان المطبوع لا اقل من نصف مليون نسخة ، ووزع ذلك بعناية مدروسة على العالم العربي ، وقررت وزارات التربية والتعليم في كل دولة وامارة عربية تدريس هذا الكراس في جميع المدارس بلا استثناء ، لكان من راء ذلك في سنتين ، هذا الفتح الذهني العظيم :

اولا ـ انكشاف الستار العلمي التاريخي عن مزاعم اليهود في تاريخهم واظهار باطلها ، من تزويرهم في التوراة فنازلا الى هذه الساعة .

ثانيا ـ هذا الانكشاف ليس رأي مجتهد ، ولا قصيدة شاعر ، ولا خطبة خطيب يستهوي الجماهير بلسانه وبيانه ، بل هو حصيلة جهد علمي رصين ، منظم ، مرهق ، ظل الدكتور احمد سوسة ، بارك الله بعلمه ، وزاد ثروة العرب بغالي كنوزه ، اربعين سنة وهو يدأب ويتابع نتائج المكتشفات الاثارية في الشرق الادنى ، موطن الحضارات ومنشأ الاديان ، وينسق المحصول الصافي بابا بابا ، ثم يجمعه في كتاب حالفه فيه التوفيق الاكبر ، وعندي ان سنة ١٩٧٢ في دراسة التاريخ القديم هي سنة الدكتور احمد سوسة ولا نزاع .

ثالثا ـ ان تسمع عن اباطيل اليهود وفاسد دعاويهم التاريخية التي عاشت قرونا ، شيء ، وان تقرأ ذلك اليوم في كتاب « العرب واليهود في التاريخ » شيء آخر بالمرة .

رابعا ـ قلت ان يطبع من مقدمة هذا الكتاب نصف مليون نسخة، والسبب الميسر في هذا ان الدكتور العبقري احمد سوسة ، رأى من باب التيسير على القارىء العربي ، ان يوجز نقاط الكتاب ايجازا حافظا للباب معانيها ، بعبارات ومبان تشتمل على « فيتامينها » ، بحيث اذا عني القارىء الذي لسبب ما لا يستطيع قراءة الكتاب المبين كله ، ومتنه يقع في اكثر من خمس مئة صفحة ، اذا عني القارىء بالمقدمة ، امتلك هذه النقاط امتلاكا ، يجعل ذهنه يستوعب وجوه الحقائق المكشوفة ، ويتفاعل ذلك في منطقة مداركه ، فيصحح المغلوط القديم بنسخه من باله ، ويحل محله الجديد وهو صفوة العلم الحديث في المكتشفات والمقارنات الحضارية ، فيظهر للقارىء عندئذ العوبة قوم موسى ـ اليهود ـ الصهاينة بعدئذ ، في التوراة والتاريخ ، وتزييف الحوادث ودعاوي النسب الفارغة ، مما زيفوه زمن السبي البابلي ، قبل المسيح بعدة قرون . هذه المقدمة لا تزيد على ٤٥ صفحة . والآية الباهرة في ذهن الدكتور سوسة انه جمل نقاط المقدمة حاوية كل الجوهر واللباب .

خامسا ـ وليس معنى متمناي هذا ، ولا اقول « اقتراحي » لان الاقتراح ينبغي ان تكون وراءه قوة تنفيذية تنقله من عالم القوة الى عالم الفعل ـ والطبع والنشر ـ ليس معنى متمناي ان يحد هذا شيئا من اعادة نشر الكتاب في طبعات تالية ، بل متمناي الذي اسال الله له التوفيق في ارض الرافدين ، مؤداه العملي امتداد لآفاق الكتاب ، وتقريب متناوله من اصحاب الاذهان الذين قد يجدون الاستطاعة الكاملة لتلاوة الكتاب كله ، مع ان تلاوة الكتاب كله لو كنت مسؤولا عربيا لجعلته فرضا وواجبا .

سادسا ـ هناك شيء آخر في مسالة طبع المقدمة في كراس على حدة على الشكل الذي نحن في صدده ، وذلك انه ليس من المعقول ان تطبع من كتاب « العرب واليهود في التاريخ » مئة الف نسخة او اكثر، وتتولى ذلك دولة واحدة ، « الجمهورية العربية العراقية » المؤيدة ، او غيرها ، ذلك لان نفقات هذا العمل من الناحية الاقتصادية ، شيء باهظ . ولكني ، واعلن لقارئي الكريم اينما كان ، اني التزم غاية الوضوح والصراحة في متمناي هذا ، اضيف الى متمناي المتعلق بطبع المقدمة لا اقل من نصف مليون نسخة ، متمنى مشتق منه ، وهو ان تتولى كل دولة عربية طبع العدد الذي يكفيها من الكتاب كله ـ لا دخل لهذا بطبع نصف مليون نسخة من المقدمة ـ وهذا الامر في هذا المدار يصبح من اختصاص الهمات العربية التي تضطلع بها الجامعة العربية، على ان يكون الطبع موحدا في الشكل والتقنية ومستوى الاناقة في الاخراج . وهناك لدى الجامعة العربية طريقة مسهلة تجمع بين الاقتصاد ، والمراد ، وايقاظ ابناء الضاد ، من المحيط الى الخليج او من الرباط الى بغداد ، وهو ان تتولى « الجامعة » افراغ صفحات كتاب الدكتور احمد سوسة في صفائح معدنية وبهذا يسهل طبع المقادير العظيمة من الكتاب ، ويمكن ان يفعل هذا في طبع المقدمة على حدة . ومهما يكن من أمر ، فان الامل اولا ان تنظر « الجامعة العربية » في هذه المسالة الخطيرة ، او الجمهورية العراقية البادئة ووزارة الاعلام فيها بهذا الفضل الخالد ، الذي هو اسهام جليل خطير في احياء المجد التراثي الطارف والتالد ، وهذه الوزارة البناءة لما وقفت على الكتاب، تبنت مشروع اخراجه فاخرجته للامة العربية بحلة قشيبة ولكن حاجة الامة الى ان تقرأه ، مقدمة ومتنا ، حاجة ملحة تستصرخ مئات الالوف من النسخ .

سابعا ـ ولا يظن اي قارىء ان الحقائق التاريخية الاثارية العلمية التي تسلمها الدكتور احمد سوسة من ارهاط الباحثين اهل الرصانة والتعقل عبر كتبهم وما دلت عليه النقوش والرسوم والآثار في الشرق الادنى ، تتناول ناحية او ناحيتين او ثلاثا او عشرا من تاريخ اليهود ، وبقي من امرهم وغضب الله عليهم ، نواح اخرى لم يمسها البحث وتندرج في قافلة الحقائق المجلوة وتشغل مكانها من القضية كلها . كلا . فالكتاب بجملته « ثورة علمية » على تاريخ اليهود المزيف ، وصرخة مدوية في اذهان العرب اجمعين ، دون نظر الى حدودهم السياسية ، ان يستيقظوا على ما بين دفتي هذا الكتاب من حقائق مذهلة ، نجح اليهود مئات السنين وهم يغشون العالم غشا مطردا بالاكاذيب المنمقة ، والقصص المنسقة ، وادعاء النسب الابراهيمي وابراهيم منهم براء ،

وبين موسى وابراهيم القرون المتوالية ، حتى لفقوا اسفارهم المتمزقة ، وانتهوا الى الصهيونية ، وحتى كلمة صهيون التي يقولون انها يهودية ما هي الا كنعانية في لغة اليبوسيين سكان القدس الاولين والباقين فيها على قوة شكيمة واهل بأس ، حتى القرن الخامس قبل المسيح .

ثامنا – ولا ننسى ان اسم الكتاب « العرب واليهود في التاريخ »، فبرهن الدكتور سوسة بالطريقة العلمية نفسها على ان العرب الساميين هم في فلسطين ، شعبا وحضارة وعمرانا ، وقوم منهم يخلفون قوما قبل ان دنس البلاد عنصر اسمه بتالي الزمن « اليهود » ، فترقص طربا لقصة عروبة فلسطين القدمى ، وتبتهج روح عروبتك وانت ترى هذا التاريخ الموغل في الدهور الخوالي ينتفض امامك انتفاضة علمية ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وكأنه غربال سقط من الاعالي الى الارض ، وجعل يغربل ذلك الماضي الامضى ، والقصي الاقصى ، فتفترق بعدئذ المواد ، وينزع الباطل عن الحق ، وهكذا دواليك حتى تمام القصة ، فترى في الختام ان الحق استعلن وظهر وبان ، وانقشعت عنه ركام الضباب ، واستقر على عرش النور ، كما ترى الباطل قد زهق واضمحل وباد وبعد ان كان سطورا امسى اساطير او عنكبوتيات تافهة . هذا ما صنعه الدكتور احمد سوسة في كتابه « العرب واليهود في التاريخ » .

وليسمح لي القارىء ان احدثه بقصة قصيرة لي وهي على سبيل المثال لا اكثر : لما اصدر الكاتب المؤرخ الانكليزي « ولز » كتابه « موجز التاريخ » في حدود السنة العشرين من هذا القرن ، كانت مميزة هذا الكتاب انه سرد قصة العالم كله ، منذ التكون الارضي الاول ، ثم نشوء النبات فالحيوان فالانسان ، فعمارة الانسان للارض في الاقاليم المختلفة ثم اختلاف الامم والشعوب واللغات ، كل هذا ، سردا متواصل الادوار والحلقات ، الى الزمن الحاضر ، فلاقى هذا الكتاب لا من الانكليز وقراء الانكليزية وحدهم ، بل من معظم الامم الراقية كالالمان والفرنسيين والطليان والامم الراقية الصغرى في شمال اوربا ، رواجا عظيما فائق الحد . وصارت تتجدد طبعاته ، واختلفت بين طبعة مترفة الاتقان ، وطبعة شعبية دون تلك في الثمن والالوان . وكنت من جهتي من المولعين جدا بمطالعة هذا الكتاب ومراجعته . فلما تكلم عن اليهود وملك داود وسليمان ، وهذا الاخير خاصة ، نبه « ولز » الى ما غالى فيه اليهود في كتبهم وتوراتهم من وصف ابهة سليمان ، واجتيازهم الحدود المعقولة في ذلك كله ، وان سليمان الموصوف في كتب اليهود هو غير سليمان الذي كان يخالف معظم تلك الاوصاف . فسررت بكلام « ولز » سرورا شديدا ، وازداد مقامه في نظري علوا ، وكنت في تلك الايام في بداية عنايتي بتاريخ اليهود . وكانت كلمات « ولز » مفتاحا لي في فتح مغاليق كثيرة تتعلق باليهود والتوراة.

واني على صلة ود قلبي نام باخي الدكتور احمد سوسة ، فخر العراق والعرب ، منذ سنين ، وهو ابدا يده مبسوطة بالفضل علي ، فكتبه القيمة المتعلقة بالحضارات القديمة طوقني بها واتحفني بدررها ، واني من المنادين بتفرده في علومه ، والمحلين في المضامير ، وله سبق بعد سبق لم يلحقه فيه احد .

وانا الآن لا اتكلم مدفوعا بآصرة الصداقة ، فالعلماء الذين هم على طرازه ، واحرزوا من لباب العلوم مثل احرازه ، هم على كل حال اصدقاء الامة ، فردا فردا ، وجماعة جماعة ، فهم كالنور من الشمس، ونور الشمس لا يحجب عن احد على وجه الارض . ولكني اقول ان كتابه « العرب واليهود في التاريخ » ملاق من الامة العربية ما لاقاه « موجز التاريخ » لولز من قراء الانكليزية قبل ٥٢ سنة ، بل آمل ان يكون اقبال العرب في بقاع آسيا وافريقيا على الدكتور احمد سوسة اشد واوسع من اقبال اولئك على ولز .

ولكن هناك فرقا كبيرا بين « موجز التاريخ » لولز ، « والعرب واليهود في التاريخ » للدكتور احمد سوسة . فقصة العالم الانساني التي حبكها ولز مستضيئا بخلاصات العلوم التي يستمد التاريخ منها

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

جذوره ، هي لكل الامم والشعوب على حد سواء ، لتزداد بهـا نورا وضياء في معرفة تحرك الانسان ونشاطاته المختلفة علـى هذه الكـرة الارضية ، لا فرق بين ابيض واصفر واسود ، على مر الدهور واختلاف العصور . اما قصة تاريخ العرب واليهود التي نسج خيوطها العلمية الدكتور سوسة هذا النسيج الرصين المحكم ، وجعلها قافلة مضيئة المراحل ، تطرد اطرادا منطقيا بديعا ، فهي مستمدة من التاريخ ايضا كالقصة الاولى ، ولكنـــه لا التاريخ البشري العام المحيط بالكـرة الارضية ، بل « التاريخ » المتعلق بالعرب واليهود في فلسطين ، وهـو نوعان : تاريخ حق ، وتاريخ باطل . اما التاريخ الحق فهـو الـذي زحف في الشرق الادنى قطاره ، على سكة العلوم الاثارية المكشوفة مـن تحت الركام والاطلال ، ونضجت بعد طـول العمل والبحث ثماره ، ونخلت اخباره ، ونؤمن بحقائقه اليوم ايماننا بوصول الانسان الـى القمر . تاريخ الحق ، او التاريخ الحق ، هذا ، هو الـذي توافرت عليه ارهاط العلماء المجردين عن الهوى ، نقول هذا لنستثني الكتاب « الثوراتيين » الذين يتلبسون علم تاريخ الشرق الادنى تلبسا يريدون من ورائه خدمة اليهود علنا وصراحا ، ومعظم هؤلاء هم مـن الشيعة البروتستنتية ، بل من هؤلاء العلماء من أصل يهـودي محض وتنصر لا ليتبع رسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ، بـل رسالة الصهيونية المقنعة . ولا اضرب غير مثلين من هـذا الصنف : امـا في السياسة فدزرائيلي ، واما في العلوم فالمستشرق مرغليوث ، ثم اخذ رجال الدين اليوم في اميركا من البروتسننت وحتى الكاثوليك ، يتجندون لخدمـة الصهيونية .

هذا التاريخ العلمي المحض كشف عن التاريخ الباطل ، تاريـخ اليهود ، مما لم يعرف منه شيء في اول هذا القرن ، دع عنك ما قبل ذلك . فاليهود هم الشعب الوحيد في العالم ، وكانوا من هذا العالـم بأسره كالبترة الخبيثة من الجسم الانساني المفرد ، وهم منفردون دون سائر الامم باصطناع تاريخ كاذب ونسب مزور ودعاو لا اصل لها . نعم ثم نعم ، ان اول صوت من السماء قال ان اليهود حرفـوا وزوروا ، ونسفوا واضافوا ، هو القرآن الكريم ، ثم جاء علم الاثار ففصل لنـا هذا تفصيلا ، وامسينا وبوسعنا اليوم ان نعلم قصة الباطل الاسرائيلي علما واضحا ، خيطا خيطا ، وازاء ذلك نعلم قـدم الوجود العربـي الكنعاني في فلسطين وهو اقدم قدم ، قبل ان وجد ذكـر لقوم موسى او بني اسرائيل في حواشي الامم . هذا مـا صنعه الدكتور احمـد سوسة ، وقدم ثمراته الى العروبة والاسلام واهل البحث والتحقيق .

حقائق هذين التاريخين : التاريخ الحق العربي ، والتاريخ الباطل اليهودي ، هي من صميم المعركة التـي بيننا وبين مـن يسمـون بـ « اسرائيل » ، « اعرف عدوك » قاعدة مسلم بها ، ولكنها تحتاج الى تطبيق وتعميق ، فاذا بقيت مجرد كلمات فهي العبارة الجوفاء . فارجو من القارىء العربي ان يعي ما بينته في هذا الفصل وعيـا يليق بحـر عروبته ، ومجد تراثه ، فاني ما جئت اقرظ كتاب « العرب واليهود في التاريخ » واطوف من حوله وحول مؤلفه بالمديح ، فالكتاب وصاحبـه يغنى عن هذا من قبل ومن بعد . وانما جئت بعامل عروبتي واسلامـي وتراثي ، ومستقبل ولدي وامتي ، ابين اين نحن من « اسرائيل » في معرفة اصلها من فصلها بعد ظهور كتاب الدكتور سوسة .

ان اخواني في العراق الوثاب ما اكثرهم ، امتع الله بهم العراق والعرب مشرقا ومغربا . وفي هذه الساعة التي اكتب فيها هذا الفصل أتاني البريد برسالة من صديقي الصحفي الاستاذ صبيح الغافقي يقول فيها ان كتاب « العرب واليهود في التاريخ » قد نفدت طبعته ، ويعـد الدكتور سوسة العدة لاخراج طبعة ثانية منه مع اضافة اشياء جديدة اليه ، في مادة متنه وفهارسه البديعة . فرقصت طربـا ، وايقنت ان معركتنا مع اسرائيل في النور والعرفان ، التحمت ومعركتنا مع اسرائيل في النار والنيران ، وكلتا المعركتين واحدة . فاقرأ كتاب الدكتور احمد سوسة ، ايها العربي اينما كنت ، واعلم منه علـم المعتصم بالحق ، المؤمن بانتصار الحق ، كيف نزهق الباطل ـ باطـل اسرائيـل ، ان الباطل كان زهوقا .

رأس المتن ـ لبنان **عجاج نويهض**

●

جوانب مضيئة مـن الشعر العربي

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٦٩ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعـة الفنية الحديثـة بالقاهرة

تفضل الاديب المحقق والبحاثة الجليل الاستاذ محمد عبد الغني حسن باهدائه الي كتابه النفيس (جوانب مضيئة من الشعر العربي) المطبوع في المطبعة الفنية الحديثة عام ١٩٧٢ وينطوي على ٢٦٩ صفحة من الحجم الكبير .

ان موضوعات الكتاب وأيم الحق شائقـة ومحببة للنفس والقلب وفيها متعة كبرى وفائدة جلى وقد بدأه بمقدمة بارعة وتحدث بعدها عن الآباء والابناء وسرد بعض الاشعـار اللطيفة التـي صورت حنان الاب وعطفه على اولاده ومنها البيت المشهور للشاعر حطان بن المعلى وهو :

وانمـا اولادنا بيننـا   أكبادنا تمشي على الارض

ونوه بأبيات نظمها بعض شعراء عصرنا في ذلك الموضوع كالاساتذة احمد رامي وندرة حداد والياس فرحات وجورج صيدح وانور العطـار وعدنان مردم بك والعوضي الوكيل ورياض معلوف وزكي قنصل كمـا أورد اشعارا تتعلق بعقوق الابناء لآبائهم وامهاتهم وسرد بعض مراثـي الآباء لبنيهم ومنها مرثاة ابن الرومي لولـده محمـد اوسط صبيته وتضمنت البيت الآتي :

وأولادنا مثـل الجوارح أيهـم   فقدناه كان الفاجع البين الفقـد

وقد جاء في الكتاب خطأ طباعي اذ ورد في الشطر الاول من البيت: أينا : بدلا من (أيهم) وورد في الديوان الذي جمعـه الاستاذ كامـل كيلاني : أيها : وهو خطأ ايضا ولا يصح مبنى البيت ومعناه الا كمـا قال ابن الرومي (ايهم) لان الضمير عائد الى قولـه في اول البيت : واولادنا : ولو انه كان عائدا الى الجوارح لقال في اول الشطر الثاني: فقدناها : وبه يختل الوزن كما لا يصح ان يقال : اينا فقدناه :

ثم انتقل الى ادب الاغتراب واللقاء في وصف مرارة الغربة وحلاوة اللقيا وسرد أبياتا جميلة قالها شعـراء المهجـر في الامريكتين وشعراء العرب في الاندلس .

وليت المؤلف الفاضل ذكر أبيات عبـد الرحمن الداخل المشهورة وهـي :

أيهـا الراكب الميمـم ارضـي   اقر مـن بعضي السلام لبعضي

ان جسمي كمـا علمـت بأرض   وفـؤادي وساكنيـه بـارض

قـدر البين بيننـا فافترقنـا   ولوى البين عـن جفوني غمضي

قد قضى اللـه بالفـراق علينا   فعسى باجتماعنـا سـوف يقضي

وبيتي ايليا أبي ماضي في ختام قصيدته التي انشدها في حفلـة تكريمه بدمشق :

يا ويح نفسي كم تطاردني النوى   وتهد منـي القلب والاعصابـا

ودعت خلف البحر أمس أحبـة   وغـدا أودع ها هنـا أحبابـا

ثم تطرق المؤلف الى الامومة والام في الشعر العربي وعد أجمل مـا قيل في هذا الباب قديما وحديثا قصيدة أبي ماضي وعنوانها : هـي : وجاء فيها هذان البيتان :

أتخجل باسم مـن تهوى   أحسنـاء بغيـر اسـم

فاطرق غـير مكتـرث   وتمتـم خاشعـا أمـي

قوله : اتخجل باسم : خطأ لغوي اذ يقال : خجل منـه : ولا

يقال : خجل به :

وقصيدة الشاعر القروي يخاطب المسيح عليه السلام وعنوانها : حضن الام .

وما أحلى قول المؤلف الشاعر في قصيدته : أمي :

الحب يا أماه منك مزاجه   مهما شربنا فيه من أكواب
فسقاه مختوم الرحيق كأنما   يسقى بنشوته ألذ شراب
نلهو بما سمح الزمان بحسنه   ونطيق كل شقاوة وعذاب

وقد اشاد بقصيدة الاخطل الصغير وعنوانها : هند وأمها : هذا مطلعها :

أتت هند تشكو الى أمها   فسبحان من خلق النيرين

ثم انتقل المؤلف المحقق الى الانسانية في الشعر العربي فقال ان هذه الكلمة من المصادر الصناعية وقد خلت المعاجم القديمة منها واثبتها بعض المعاجم الحديثة مثل محيط المحيط واقرب الموارد والمنجد وهي على هذا كلمة مولدة وذكر انسانية الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي لان ما كانوا يغنمونه في غاراتهم يوزعونه على الفقراء والمساكين واكرام الضيف مع العلم ان الغارات للسلب والنهب ليست من الانسانية في شيء ولكن برهم بالمعوزين وكرمهم ونجدتهم جعلهم انسانيين وعرض نماذج من الاشعار التي تنم عن انسانية كقول معن بن أوس المزني :

فما زلت في ليني له وتعطفي   عليه كما تحنو على الولد الام
لاستل منه الضغن حتى سللته   وان كان ذا ضغن يضيق به الحزم

وكقول المقنع الكندي :

وان الذي بيني وبين بني أبي   وبين بني عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم   وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ونوه بانسانية أبي العلاء المعري وبما جاء منها في شعره وبما جاء من انسانية في شعر الشعراء المهجريين وشعر حافظ وخليل مطران والرصافي وخليل مردم بك وابي شادي والصافي النجفي والاخطل الصغير وطانيوس عبده وذكر بعض أبيات لايليا أبي ماضي في فراشة محتضره ومن قوله فيها :

قالوا فراشة حقل لا غناء بها   ما افقر الناس في عيني واغناك
فراشة الحقل في روحي كآبته   مما عراه ومما قد تولاك

وتحدث عن الشعر القصصي عند العرب وذكر ممن طرق هذا الباب امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والشعراء الصعاليك مثل تابط شرا والشنفرى وعروة بن الورد في الجاهلية وعمر بن ابي ربيعة والفرزدق وذا الرمة في العصر الاموي وابا نواس في العصر الاموي ولم يذكر معه بشار بن برد فان له غزلا قصصيا وذكر خليل مطران وشبلي الملاط والزهاوي والرصافي والزركلي والاخطل الصغير وفوزي المعلوف وأخيه شفيق المعلوف في العصر الحديث وأشار الى حكايات لافونتين التي ترجمها شعرا الاستاذ عثمان جلال والى حكايات كليلة ودمنة التي نظمها أبان بن عبد الحميد اللاحقي ولم يشر الى حكايات شوقي الشعرية وهي كثيرة ولها في ديوانه باب خاص .

وتكلم عن المساء وما ألهم الشعراء من شعر حزين او سار وسرد نماذج من ذلك . ثم انتقل الى مأساة غرناطة وسرد اشعارا رقيقة قيلت فيها منذ حدوث تلك المأساة حتى العصر الحاضر دون ان ينوه بسينية شوقي المشهورة وقد تضمنت خمسة وعشرين بيتا عن غرناطة منها هذه الابيات :

من لحمراء جللت بغبار الد   هر كالجرح بين برء ونكس
حصن غرناطة ودار بني الاحـ   ـمر من غافل ويقظان ندس
مشت الحادثات في غرف الحمـ   ـراء مشي النعي في دار عرس
خرج القوم في كتائب صم   عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا في البحار نعشا وكانت   تحت آبائهم هي العرش أمس

وتحدث عن الشعر والشعراء على ضفاف بردى فسرد ابياتا بديعة بوصف ذلك النهر البديع وحبذا لو أضاف الى ما ذكره من شعر في بردى قول شوقي في قصيدته : دمشق :

جرى وصفق يلقانا بها بردى   كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة   والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في دمر اوحول هامتها   حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة   الساق كاسية والنحر عريان
وقد صفا بردى للريح فابتردت   لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا   جفت من الماء أذيال واردان

وهذه الابيات بارعة ماتعة وفي غاية الابداع لم يقل شاعر مثلها ولن يقول . وقول ايليا أبي ماضي في القصيدة التي أنشدها في حفلة تكريمه بدمشق :

واهبط على بردى يصفق ضاحكا   يستعطف التلعات والاعشابا
روح أطل من السماء عشية   فرأى الجمال هنا فحن فذابا
وصفا وشف فاوشكت ضفاته   تنساب من وجد به منسابا
بل أدمع حور الجنان ذرفنها   شوقا ولم تملك لهن ايابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا   وبني الهوى فترشفوك رضابا

وهذه الابيات من أبدع واروع ما قيل في بردى .

وقول الدكتور نقولا فياض في مهرجان المتنبي بدمشق :

قالوا تحب الشام قلت وهل سوى   بردى يبرد يا شام أوامي
الشرق شرقي أين لاحت شمسه   ودم العروبة في دمي وعظامي

وتكلم عن الفكر والعاطفة في شعر عبد الرحمن شكري واثبت انه كان شاعر عاطفة كما كان شاعر فكر لا كما يدعي البعض أنه كان شاعر فكر فقط .

ثم تكلم عن الطبيعة في شعر شوقي وسرد ابياتا كثيرة ولطيفة في وصف الطبيعة والطير والحشرات وتحدث عن شعراء كانوا أصحاب حرف وذكر بعض اشعارهم .

وتحدث عن التواريخ الشعرية التي ظهرت في عصر الانحطاط والعهد التركي وعدها نكبة على الشعر العربي وذكر بعض الشعراء الذين نظموا بها وبعض التواريخ الشعرية .

ثم تكلم عن الشعر والرجز في تدوين التاريخ ونوه بأسماء علي بن الجهم وابن المعتز وابن عبد ربه وابي طالب عبد الجبار وصلاح الصفدي وابن اياس المصري والشيخ طه الدمياطي واحمد محرم وشوقي في ارجوزته المشهورة وعنوانها : دول العرب وعظماء الاسلام : وقد اجاد بها كل الاجادة ولا سيما في موشحه : صقر قريش : وهو الموشح الوحيد لشوقي .

وتحدث عن شعراء الشرق المسيحيين ومواقف لهم عن الاسلام وذكر منهم شعراء المهجر في الامريكتين كالشاعر القروي والياس فرحات وجورج صيدح ورشيد أيوب ونصر سمعان ومحبوب الخوري الشرتوني ورياض المعلوف والياس عبد الله طعمة وقد اعتنق الاسلام عام ١٩١٦ وتسمى باسم أبي الفضل الوليد وكان يوقع بهذا الاسم تحت قصائده العصماء بعد عودته الى لبنان وهو شاعر فحل .

وذكر المؤلف المدقق من الشعراء المسيحيين الذين اشادوا بالاسلام خليل مطران وشبلي الملاط ووديع البستاني والدكتور لويس صابونجي وسابا زريق وحليم دموس وقد أسلم وابراهيم زيدان وعبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد الحلبية وله ديوانان الاول : خيوط الغمام ، والثاني : حصاد الذكريات ، وسرد بعض اشعارهم في هذا الباب وليت المؤلف الفاضل ذكر الدكتور نقولا فياض القائل في قصيدة انشدها في المؤتمر الوطني ببيروت :

لي في هوى وطني كتاب خالد   يبقى على المكتوب من أيامي
سجلت نصرانيتي في متنه   ونشرت فوق سطوره اسلامي

والقائل في قصيدة طويلة وجميلة انشدها في عيد المولد النبوي في كلية المقاصد :

نبـي العرب ألهمني بيانـا ... على عجزي أهـز بـه الزمانا
فيا لـك مولدا حضنته دنيـا ... ليأخذ بالهدى الدنيـا احتضانا
ويا لك مـن يتيم أعـز يتمـا ... وحلى الفقـر حلتـه وزانـا
يروح اليـه جبريـل ويغـدو ... فينفحـه الفصاحة والبيانـا

وقد تحدث المؤلف العالم عن الآباء المنجبين من العلماء والادباء والشعراء وعن المشاركة في التاليف والشعر وعـن لقاء وذكريات مـع بعض الشعراء المصريين الراحلين . ثم تكلم عن ابيات وقصائد حائرة النسب وذكر قسما منها واورد البيتين المشهورين لابن الرومي فـي وصف أحدب :

قصرت أخادعـه وطـال قذالـه ... فكأنـه متربـص ان يصفعـا
وكأنمـا صفعت قفـاه مـرة ... واحس ثانيـة لهـا فتجمعـا

وقد نسبهما علي بن سعيد المغربي الى عبد الله بن الطباخ وليت المؤلف المدقق ذكر ما قاله عنهما الاستاذ مصطفى صادق الرافعي فـي كتابه « على السفود » ردا على الاستاذ العقاد فقد نسبهما الى الامير مجير الدين بن تميم وصحح بعض كلماتهما فقال (وغاب قذاله) بـدلا من وطال قذاله لان الاحدب يقصر قذالـه ولا يطـول والقذال مؤخـر الرأس . وقال (فكأنه مترقب) بدلا من : فكأنه متربص : لان التربص قد يفيد معنى الانتظار الطويل . وقال (وكأنما قد ذاق اول صفعة) بدلا من : وكأنما صفعت قفاه مرة : لان القفا مذكر على الاغلب الاعـم وتانيثه قليل . وليت المؤلف الفاضل اضاف الى ما ذكره في هذا الباب قصيدة « اليتيمة » فقد نسبت الى عدة شعراء واشتهر بها دوقلـة المنبجي وهذا مطلعها وبعض ابياتها :

هل بالطلـول لسائـل رد ... أم هـل لهـا بتكلـم عهـد
لهفي علـى دعـد ومـا خلقت ... الا لطـول تلهفـي دعـد
فالوجـه مثـل الصبـح مبيض ... والشعـر مثـل الليـل مسود
ضدان لمـا استجمعا حسنـا ... والضد يظهـر حسنـه الضد
وبصدرهـا حقـان خلتهمـا ... كافورتيـن علاهمـا نـد
ان تتهمـي فتهامـة وطنـي ... او تنجـدي ان الهـوى نجـد

ثم تكلم المؤلف البحاثة عن الشعر العربـي الفصيح والغربـة المزعومة بينه وبين القارىء وعن شعر الوطنية والقومية في ليبيا وعـن استجابة الشعر لعوامل الوطنية والتحررية في تونس وعـن شاعـري الوطنية والعروبة في الجزائر وهما مفدى زكريا ومحمد العيد آل خليفة وسرد نماذج من اشعارهما .

وختم كتابه بالتحدث عـن السفن والاساطيل العربية بريشة الشعراء واورد ما قيل في هذا الباب من اشعار لطيفة وطريفة .

هذا ما وددت عرضه من اقتباس وتلخيص لذلك الكتاب القيـم النفيس وقد استفدت منه واستمتعت به . واني لاشكر مهديه المفضال اجزل الشكر واغتنم هذه المناسبة لاقدم له من صميم فؤادي تهنئاتـي الخالصة لاختياره عضوا في المجمع اللغوي بدمشق وقـد أعطي القوس باريها .

جبلة ـ سورية **رشاد علي أديب**

حكاية البيت الشامي الكبير

تأليف الدكتور كاظم الداغستاني ـ ٢٠٦ صفحـة ـ مطبعة الف بـاء بـدمشـق

قرأت « حكاية البيت الشامي الكبير » بمتعة ، ايمـا متعة ، ولقد استحثني القلم ، وانا اكتب هذه السطور ، ان استهلهـا بالملاحظات الثلاث التالية :

١ ـ طال بنا الزمن ، ونحن نقرأ لكتاب لم يتقنوا سبك الجملة بلغة عربية صحيحة ، وبالفاظ مختارة ، تنأى عن المتداول مـن الكلام المحكي والمنشور في صفحات الصحف اليومية . وهذا الكاتب .. ينجو من السقوط في منزلق الكلام المحكي ، والاسلوب الشائع في الكتابة .

٢ ـ من الممتع ان يتجسد فولكلورنـا في روايات او قصص ، لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تربط المواطن بالارث الذي ورثناه عـن الاجداد ، ان الفولكلور ، بشكله النظري ، من الجفاف بحيث يدفـع القراء الى بحيرة من السأم ، اذا ما قدم اليهم مباشرة كما هو . وقد يكون الدكتور الداغستاني قد تعمد ان يجسد الفولكلور الشامـي فـي ما يشبه القصة ، حتى يحبب الفولكلور وينقذه .

٣ ـ يجد القارىء المطلع على الكتب التـي تتحدث عـن دمشق القديمة (١) متعة اكبر وهو يقرأ هذا الكتاب .

تمتد الحكاية على اكثر من مئتي صفحة ، ملأى بالممتع والطريف، عائدة بالقراء الى دمشق القرن الماضي ، بنكهتها الخاصة ، حريمها ، طقوسها ، تقاليدها ، ياسمينها الـذي يتسلق الجدران ، مربعاتهـا المفروشة بالطنافس ، ناسها واحوالها ، وما كان يجري في حركة الحياة اليومية فيها ، فكأن المؤلف يعرض فيلما .. نرى شخوصه بالطربوش والحجاب ، يقصون علينا حكايتهم كي يقولوا دونما مواربة ان دمشقكم التي تعيشون ليست سوى ابنة فتية لدمشقنا تلك التي كنـا نعيش ، وان طبيعة التطور يجب الا تقصي دمشقيا عن دمشقه القديمة ، فمـن لا يؤمن بقديمه .. تاه ، كما يقول المثل .

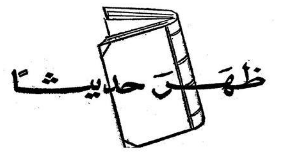
لا يقول الدكتور داغستاني ذلك مباشرة . ان مجرد العودة الـى دمشق ما .. ووضع الموضوع على المائدة يعني هذا ، وما آخذه عليـه هو ان القصة المروية لم تكن قصة بكل ما تعنيه الكلمة مـن معنـى ، فالمؤلف يقحم نفسه في اكثر من موضع ، والجمل والكلمات التفسيرية ظاهرة ملحوظة في النص ، وكثيرا ما تستيقظ حاسة الفولكلوري فـي نفس الدكتور الداغستاني ، فيعقب على مسالة ما .. شارحا ، وفـي الوقت نفسه ناسيا السيـاق القصصي ، واحيانـا يمضي في الشرح فيفسر صنعة دمشقية كما اوردها القاسمي في قاموسه .. وهكذا .

ان هذا المآخذ لا يتبلور في موقف نقد ، فمـن طبيعة الموضوع ، وربما بسبب مخطط وضعه الدكتور داغستاني للكتـاب ، ان يخرج كتابه بهذا الشكل الشبيه بالقصة . واذا كان لا بد من كلمة اختتـم بها هذه السطور .. فالاعجاب بالحكاية ، والدعوة الى الاكثار منها .. والتنويه بأن سطورا كهذه لا يمكن ان تكثف او تعرض حياة كاملة صبها الكاتب في مئتي صفحة .

دمشق **عادل ابو شنب**

---

١ ـ « حوادث دمشق اليومية » للبديري الحلاق ، الـذي يؤرخ لفترة من تاريخ دمشق في القرن السابع عشر .



● الرؤيا الابداعية في شعر البياتي ـ تأليف عبد العزيز شرف ـ ٢١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٤٤ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام ـ دار الحرية للطباعة ببغداد ـ مطبعة الجمهورية ببغداد .

● الشعر العربي منذ مطلع ١٩٧١ لغاية اذار ١٩٧٢ ـ اعداد ميخائيل عواد وطراد الكبيسي وعبد الجبار داود البصري ـ ٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر بمناسبة انعقاد مهرجان المربد الشعري الثاني في البصرة من ١ ـ ٥ نيسان ١٩٧٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد .

● ضفاف الهوى ـ مجموعة شعرية ـ رضا الفيلي ـ تقديم محمد عفيفي ـ ١٦٨ صفحة ـ مع لوحات فنية ـ مطبعة حكومة الكويت .

● عندما تحب المرأة ـ مجموعة قصص ـ تأليف حلمي مراد ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٢ ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● دراسات وتراجم عراقية ـ تأليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ـ تأليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ . ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ اربعة اجزاء ـ الجزء الاول ٤١٠ صفحة ـ الثاني ٤١٨ صفحة ـ الثالث ٣٤٠ صفحة ـ الرابع ٣٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ مطابع دار صادر ببيروت .

● شجرة محار ـ مجموعة من النثر الفني ـ تأليف محمد الصباغ ـ ١٥٦ صفحة ـ سلسلة « والقلم » رقم ١ ـ منشورات وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي مديرية الشؤون الثقافية في الرباط بالمغرب ـ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية في فاس بالمغرب .

● ذكرى العودات (البدوي الملثم) ـ الكلمات والقصائد التي القيت في حفلة التأبين والقصائد والكلمات التي كتبت لهذه الذكرى ـ اعداد مكتب لجنة التأبين ـ ٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القوات المسلحة الاردنية في عمان .

● قرقيسيا (قرية البصيرة) قاعدة وادي الخابور ـ دراسة تاريخية جغرافية ادبية اقتصادية ادارية رائدة ـ تأليف عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها بدير الزور ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المدن الفراتية القديمة في سورية رقم ٢٢ ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ صدر في دير الزور سورية .

● سطر مغلوط وقصص اخرى ـ تأليف احسان كمال ونجيبة العسال وهدى جاد ـ تقديم الدكتورة نبيلة ابراهيم ـ ١٨٠ صفحة ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● مأساة حب ـ رواية قصيرة ـ تأليف عبد العزيز رجب ـ ١٠٦ صفحة ـ توزيع دار الحضارة (؟) ـ مطبعة العلم (؟) ـ (طبع في سورية) .

● ارمينية في التاريخ بالعربي ـ تأليف اديب السيد ـ ٣١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الحديثة بحلب .

● المكتبة ومنهج البحث : دليل الباحث والطالب الى وسائل استخدام الكتب والمكتبات ـ تأليف عبد الجبار عبد الرحمن ماجستير في علم المكتبات مدرس في كلية الاداب وامين مكتبة جامعة البصرة ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الطباعة الحديثة بالبصرة العراق .

● الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ـ تأليف جورج شهلا وعبد السميع خربلي والماس شهلا حنانيا ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نال جائزة جامعة الدول العربية لسنة ١٩٥٦ ـ طبعة جديدة منقحة ـ دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت .

● حكاية مجانين ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ مصمم الغلاف الفنان بهجت ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص قصيرة جدا ـ تأليف فتحي الابياري ـ صمم الغلاف الفنان احمد مصطفى ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكتب الجامعية بالاسكندرية ـ دار بور سعيد للطباعة بالاسكندرية .

● متاعب المعلم ـ مجموعة شعرية ـ محمد فهمي الحمدان ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الوطن العربي بحلب .

● القانون في الطب لابن سينا ـ طبعة رومية ايطاليا سنة ١٥٩٣ ميلادية : كتاب الادوية المفردة والنباتات ـ شرح وترتيب جبران جبور ـ قدم له الدكتور خليل ابو خليل ـ تعليق الدكتور احمد شوكت الشطي ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الطلاب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص « ابو هاشم » ـ المجموعة الاولى ـ تأليف عبد اللطيف هاشم السعدي ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة دار السلام ببغداد .

● اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر منذ تأسيسها الى اليوم ١٩٦١/١٩٧٢ ـ اعداد عيسى الناعوري سكرتير اللجنة ـ ٨٠ صفحة ـ مطبوعات وزارة التربية والتعليم الاردنية ـ مطبعة القوات المسلحة الاردنية .

● من وحي فلسطين : في غمرة النكبة ـ مجموعة شعرية ـ كامل الدجاني ـ ٦٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (طبع في بيروت) .

● الموسوعة الموجزة ـ المجلد ١ رقم ٤ حرف ث ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء /الاديب بدمشق .

● اعترافات المتهم الغائب ـ مجموعة شعرية ـ معد الجبوري ـ مصمم الغلاف خالد النائب ـ ٧٢ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام على نشره ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● احلام الدوالي ـ مجموعة شعرية ـ حافظ جميل ـ صمم الغلاف صادق سميسم ـ الرسوم الداخلية خالد النائب ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٢ في سلسله « ديوان الشعر العربي الحديث » منشورات وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ببغداد ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● في انتظار اوبة الجواد ـ مجموعة شعرية ـ فتحي الكواملة ـ تقديم الدكتور عبد الرحمن ياغي استاذ الادب الحديث بالجامعة الاردنية ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في الادب العباسي ـ تأليف محمد مهدي البصير ـ الطبعة الثالثة ـ ٤٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف العراق .

● نواح المزرعة ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور سليمان داود ـ الجزء الثالث ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة دار الريحاني ببيروت ـ مطابع مؤسسة دار الريحاني ببيروت .

مـن مؤلفات الدكتور يوسـف عـز الدين

باللغـة العربيـه

الشعر العراقي في القرن التاسع

دراسة مستفيضة عن تيارات الادب والفكر في هذا القرن . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيـه

بحث شامل عن تاريخ العراق المعاصر وشعرائه وحياتـه السياسية والاجتماعية واهم احداثه التي صورت في الادب . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الاشتراكية والقومية واثرهما في الشعر الحديث

اوسع دراسة عن اثر هذين التيارين في الوطن العربي . من محاضرات الدراسات العليا في القاهرة وبغداد .

فهمي المدرس ـ من رواد الفكر الحديث

بحث جديد عن الفكر العربي وتطوره والتجديد ومظاهره في الادب والصحافة وانشاء الجامعة الاولى في بغـداد . مطبوعـات معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة .

خيري الهنداوي ـ شعره وحياته

ديوان الشاعر الكامل مع دراسة مستفيضة عـن الحياة الاجتماعية والفكرية وطرف الشاعر وصلاته بالمفكرين ورجال الدولة . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية .

مخطوطة عربية في مكتبة صوفية البلغارية

اول كتاب يصف جملة كبيرة من المخطوطات العربية في بلغاريـة فـي الادب والتاريخ والجغرافية . مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

شعراء العراق في القرن العشرين

تراجم الشعراء باقلامهم كالرصافي والزهاوي وناجـي القشطيني ومحمد الهاشمي وكاظم الدجيلي مع ثلاثين من الشعراء المعاصرين في العراق مع اجمل المختارات الشعرية واعذبها .

داود باشا ونهاية المماليك في العراق

اول كتاب صدر باللغة العربية عن والي بغداد المشهور مـع رسائله الخاصة التي كان يكتبها لاسرته باللغة الجورجية مـع تركيز على حياته الخاصة .

في الادب العربي الحديث

هذه مقالات نقدية احدثت ضجة كبيرة ونفدت الطبعة الاولى فيهـا حياة الشعراء العرب النفسية ، مشكلات الادباء والمفكرين الخاصة. وطبعته الثانية تظهر قريبا في القاهرة عن دار الكاتب .

في ضمير الزمن

الطبعة الثانية من الشعر الرقيق الذيلم تبق الطبعة الاولى الا قليلا . وقدم لها الشاعر الكبير صالـح جودت بدراسة مفصلة عـن منزلة الشاعر بين شعراء عصره مثل الشاعر ناجي ورامي وشعراء ابولو .

الحــان

مجموعة الشعر الذي نظم ايام الجامعة حياه في المقدمة الشاعر الكبير احمد رامي بقصيدة من خرائده . والطبعة الثانية طبعت في القاهرة.

لهـات الحيـاة

ذكريات اوربا في حلوها ومرها ومرحها وبؤسها سجلها في شعر لذيـذ جميل . طبع في بيروت .

مـن رحلـة الحياة

مختارات عذبة من شعر الشاعر مع ترجمة لحياته من بعقوبة الـى لندن وما قاساه من صعاب وما واجهته من عقبات وكيف ذللت .

النصرة في اخبـار البصرة

نسخة فريدة وحيدة من دراسة لحياة البصرة في القرن التاسع عشر الاجتماعية والاقتصادية والزراعية حققها الكاتب وعلق عليها تعليقات مثيرة في هذه الفترة من التاريخ في العراق . تطلب مـن مكتبة المثنى في بغداد والمكتبة العصرية .